جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ظهر المهراز – فاس

بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية

الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية وأحد علماء الأمة "السيوطي نموذجا"



إعداد الطالب

نور الدين طبازة

ر.و.ط: 02/20797528

إشراف الدكتور:

خالد الصقلي

السنة الجامعية

1426-1427هـ

2005-2006م



جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز ــ فاس

بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية

الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية وأحد علماء الأمة "السيوطي نموذجا"

إعـــداد الـــطـــالـــب:
نور الدين طبازة
ر.و: 02/20797528



إشراف الدكتور:
خالد الصقلي



الموسم الدراسي
1426-1427هـ
2005-2006م

إهداء

أهدي هذا البحث العلمي إلى كل من:

- روح خير البرية ومعلم البشرية وقائد الأمة سيدي وحبيبي محمد ρ.
- أرواح العلماء المسلمين ومنهم عبد الرحمان السيوطي.
- أبي رمز التضحية والمثابرة والصبر والتحدي.
- أمي رمز الحزم والعطاء والحنان والعطف.
- إخواني وأختاي رمز الاتحاد والقوة ومكارم الأخلاق.
- الأخت غزلان رمز الوفاء والإخلاص.
- كل الأصدقاء ومنهم: يوسف، عبد العلي، ربيعة وإلهام.
- كل الأساتذة والمعلمين الذين درسوني وعلموني.
- أستاذي الفاضل خالد الصقلي رمز الاجتهاد والمثابرة والجد.
- كل المؤمنين في كل أرجاء المعمور.

إلى كل هؤلاء أهدي جهدي وثمرة عملي.

نور الدين طبازة

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل خالد الصقلي

الذي تفضل بالإشراف على بحثي بتوجيهاته وملاحظاته

وسعة صدره وصبره.

فاللهم جازيه خيرا وأطل اللهم في عمره، وارزقه

النجاح في حياته الدنيوية، والثواب في الآخرة،

إنك سميع مجيب الدعاء.



P

مقدمة عامة:

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين وعليه نتوكل ومنه نستمد العون والتوفيق، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم صل وسلم على حبيبنا وقائدنا وقدوتنا محمد ρ الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق وجعل محجته بيضاء طاهرة، ودلالة إعجازه جلية قاهرة، تتقزم العقول المكابرة، أمام حجته البالغة.

لقد اقتضت إرادة الله رحمة منه بعباده أن يرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين: "**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**"[1]. فأتى كل نبي من الإعجاز والبيان ما مثله آمن عليه قومه، وكان الذي أعطى لرسولنا وإمامنا محمد ρ هذا القرآن المعجزة الخالدة الذي تضمن المحجة والحجة، والبيان والبرهان، فكان ذلكم التلاقي والاتساق بين المنهج الذي تصنع من خلاله الحياة الراشدة، والحجة التي تنير للعقول طرائق القناعة الموصلة إلى العقيدة الراسخة، وفي القرآن علم الله بالنفس والناس والحياة والإحياء والكون الرحب.

لقد كان إعجاز القرآن دائما ومستمرا ومحببا إلى كل قلب وعقل، ومن خلاله ومن خلال الفكر نتوصل إلى وجدان كل شخص يتأمل في آيات الله الذي خلق هذا الكون، ونزل هذا القرآن، فعندما نجد ما وصل إليه الإنسان من تطور علمي من مكتشفات وحقائق مذهلة توصل إليها العلم، ثم نجدها مسجلة في القرآن الكريم فإن ذلك يؤنس إيمان كل فرد، لأن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن، وأن هذا النبي الأمي الذي نزل عليه الوحي هو موصل بوحي السماء، كما أن موضع الحجة في القرآن هو إعجازه للخلق أجمعين، ومع استعمال نعمة العقل التي منحها الله للإنسان يتوصل إلى حقيقة أن الله سبحانه وتعالى إله واحد وأن دين الإسلام هو خاتم الرسالات، وأن سيدنا محمدا ρ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، "**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**"[2].

---

[1]– سورة النساء، الآية: 164.

[2]– سورة النجم، الآيتان: 3-4.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع دفعني إيماني وتشبثي بكتاب الله الكريم سبحانه وتعالى وسنة نبيه الشريف ρ أن أوجه بحثي المتواضع الذي يعد بداية لبحوث مستقبلية، إلى هذا المجال حريصا على تنقيحه وجمعه من بين دفات الكتب المعتمدة في البحث العلمي لأجعله أكثر أناقة وإشراقا، فقد نهجت في تفصيل هذا البحث نهجا أرجو أن يكون مقبولا من طرف قارئه، إذ قسمته إلى ثلاثة فصول تترادف ترادفا متسلسلا منطقيا. وتتدرج خلال تعاقبها كل مسألة قرآنية لا يسع جهلها أحد من العرب والمسلمين. وكان لزاما أن يجيء على هذا النحو، لأني سميت بحثي: "الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية وأحد علماء الأمة" واخترت الإمام جلال الدين السيوطي أنموذجا.

فأفردت الفصل الأول الذي عنونته "بالإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية" للحديث عن ما يلي:

* مفهوم الإعجاز والمعجزة.
* نشأة الإعجاز وتطوره.
* القرآن الكريم وما يتعلق به.
* السنة النبوية وإعجازها ومكانتها في التشريع الإسلامي.

أما الفصل الثاني فقد خصصته من أجل الحديث عن نموذج البحث، العلامة شيخ الأمة جلال الدين عبد الرحمان السيوطي وحياته ومؤلفاته.

متحدثا بشكل مختصر عن كل من:

* عصر جلال الدين السيوطي.
* حياته.
* مؤلفاته.

وبخصوص الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن الإعجاز القرآني عند جلال الدين السيوطي من خلال كتابيه: "الإتقان في علوم القرآن" و"معترك الأقران في إعجاز القرآن" فتتبعت بكل اختصار ما يحتويه هذين المصدرين من وجوه إعجاز القرآن التي أبرزها السيوطي، فأخذت من كتابه: "الإتقان" ما يتعلق بالأسلوب باعتباره وجها من وجوه الإعجاز قي نظر السيوطي، ثم عددت الوجوه الخمسة والثلاثين التي حصرها السيوطي في كتابه "معترك

الأقران" ثم أنهيت بحثي بوضع خاتمة عامة، وقد اعتمدت في بحثي المتواضع على عدة مصادر ومراجع جعلت لها فهرسا خاصا بها في آخر البحث، وليتأتى لي ذلك زرت العديد من المكتبات العمومية بالعاصمة العلمية فاس ونظيراتها بمكناس، ومن أهم هذه الخزانات التي زرت وأشكر بالمناسبة طاقمها الإداري:

– مكتبة القرويين، ومكتبة ابن سودة في حي الزيات ومكتبة المجلس العلمي في فاس ومكتبة دار الثقافة بفاس، ومكتبة دار الثقافة بمكناس، ومكتبة المسجد بمدينة مكناس، وكذلك مكتبة البلدية بنفس المدينة.

وأخص بالشكر والتقدير والاحترام الخالص أستاذي "صقلي خالد" الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وسعة صدره وصبره وملاحظاته.

وكما لا يخفى أن هذا البحث قد جاء تتويجا لأربعة سنوات من الطلب والتحصيل العلميين، جاءت هذه الثمرة التي أرجو أن تكون في ميزان الحسنات، بعد جهد جاهد نظرا لانشغال بالي للتوفيق بين الدروس والمحاضرات بالكلية والبحث في المكتبات عن المصادر والمراجع المفيدة، وقد بارك الله تعالى في تلك الساعات اليومية التي كنت أختلسها من جيب أيامي المليئة بالهم والتفكير، ناهيك عن الوضعية المادية وألم البعد عن الأسرة والأهل ومع ذلك أحمد الله وأشكره الذي ألهمني الصبر وتحدي الصعاب في سبيل طلب العلم والبحث عنه. ولكن رغبتي الملحة على متابعة مسار الدراسة والبحث بمشيئة وتوفيق من الله سبحانه وتعالى جعلني أبلغ هذا المستوى المتواضع، وإني لأشكو إلى ربي Y بثي وحزني، كما أنه لا قصد لي سوى جمع ما كتبه علماؤنا الأجلاء رحمهم الله ومنهم السيوطي، وتقريب الوصول بعد طول الطريق وتحقيقه ودراسته خدمة للباحثين من جهة، وإبراز البلاء الحسن في خدمة العلوم الإسلامية من جهة أخرى.

فاللهم يا ولي المؤمنين، ومتولي الصالحين، اجعل عملي هذا عملا صالحا صحيحا مقبولا، وسعي فيه سعيا مرضيا مقبولا، وانفع به اللهم من أخذ به وعمل بما فيه، إنك وحدك القادر على ذلك وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى عفو ربه ورحمته.

الطالب: نور الدين طبازة.

الفصل الأول:
الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية

الفصل الأول: الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية.

مقدمة.

I- الإعجاز في القرآن الكريم.

1- مفهوم الإعجاز القرآني.

أ- الإعجاز لغة.

ب- الإعجاز اصطلاحا.

2- مفهوم المعجزة.

أ- المعجزة لغة.

ب- المعجزة اصطلاحا.

3- نشأة الإعجاز وتطوره.

II- القرآن الكريم.

1- مفهوم القرآن الكريم.

أ- القرآن لغة.

ب- القرآن اصطلاحا.

2- نزول القرآن وأسمائه.

أ- أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم.

ب- المكي والمدني.

3- معرفة الإعجاز في القرآن الكريم.

4- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

أ- نشأة الكون.

ب- ظهور الإنسان.

III- السنة النبوية الشريفة.

1- مفهوم السنة النبوية.

أ- السنة النبوية لغة.

ب- السنة النبوية اصطلاحا.

ج- مكانة السنة في التشريع الإسلامي.

2- الإعجاز في السنة النبوية وصدقها للقرآن الكريم.

أ- في القرآن الكريم.

ب- في الحديث والسيرة.

3- جهود العلماء في إبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

خاتمة.

الفصل الأول:

الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية

µ:

إن قضية الإعجاز القرآني من القضايا العلمية والدينية الهامة، التي شغلت الفكر الإسلامي والإنساني على مر العصور، ولا زالت تشغله حتى عصرنا الحاضر.

ولقد تدارسها كثير من العلماء والفلاسفة وأصحاب الكلام، وكان لكل منهم رأي ووجهة نظر، وتصدى لدراستها أيضا علماء المسلمين، على اختلاف مذاهبهم، وأفردوا لها ولا زالوا عدة بحوث ورسائل وكتب ومصنفات، وتعمقوا في دراسة القرآن الكريم دراسة موضوعية شاملة، لعلهم يصلون إلى تحديد كنه الإعجاز، ووجوه الإعجاز، وكان لكل منهم رأيه ومفهومه للإعجاز القرآني.

ولكن بعض هذه المفاهيم ائتلف، وبعضها الآخر اختلف، وكان حصيلة التعمق في البحث والدراسة هي مجموعة كبيرة من الرسائل والكتب، تتحدث كلها عن الإعجاز، وكنهه ووجوهه مما أثرى المكتبة الإسلامية. حيث أخذ علماء كثيرون، يدرسون القرآن، ويبحثون في فهم معانيه وكان كل منهم يدرس في حدود مجاله العلمي ومستواه الثقافي، ومذهبه الديني، وطرحت الآراء على بساط البحث، وأخذ العلماء يناقشون ويحللون. مما كان له أكبر الأثر في الدفاع عن القرآن، وإبراز وجوه الإعجاز، ودراسة علوم القرآن. كما كان له أجل الأثر في إثراء الحركة الدينية والعلمية، التي وُلدت نشيطة من أجل خدمة القرآن العظيم. ونجد أن الأمر الذي يلفت النظر هو أن كل الفرق الإسلامية قد أسهمت في إشعال جذوة النقاش والجدال كل منها حاول أن يستغل قضية الإعجاز القرآني لصالح معتقداته لتثبيت دعائم مذهبه الديني. ومع ذلك فلقد سحر القرآن العرب، وسلب عقولهم ببيانه ونظمه وروعة معانيه الخالدة، وهز النفوس منذ نزول آياته الأولى إلى أن اكتملت سوره، وكان الإعجاز هو روحه الخفية تسري في قارئه، فينبعث فيه الإقرار النفسي بأنه كتاب إلهي، أبدعته القدرة الإلهية، وأن قوى الإنسان تظل عاجزة كبقية الخلق عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ولكن ما هو مفهوم الإعجاز القرآني لغة واصطلاحا؟ وما مفهوم المعجزة؟ ما هو مفهوم القرآن الكريم؟ وما هي وجوه إعجازه؟ وما هو مفهوم السنة النبوية؟

I- الإعجاز في القرآن الكريم:

1- مفهوم الإعجاز القرآني:

أ- الإعجاز لغة:

العجز بالفتح نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجزُ وعَجَزَ عجْزًا فيهما؛ ورجل عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ ومَرَةٌ عاجِزٌ وعاجِزَةٌ عن الشيء؛ عن ابن الأعرابي.

وعَجَّز فلان رأي فلان إذا نبسه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز. ويقال: أعجَزْتُ فلانا إذا ألفيته عاجزا. والمَعْجَزَةُ والمَعْجِزَةُ العجْزُ.

قال سيبويه: "هو المَعْجِزُ والمَعْجَزُ، الكسر على النادر والفتح على القياس لأنه مصدر. والعجز الضعف، تقول: عَجَزْتُ عن كذا أعجِزُ. وفي حديث عمر "ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجِزة" أي؛ لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش، يقال عجز الرجل عن العمل إذا كبر وأعجزه الشيء أي فاته.

والمعجزة، بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيْسُ"[1]، وقيل: أراد بالعجز ترك ما تحب فعله، وهو عام في أمور الدنيا والدين، والتعجيز التثبيط وكذلك إذا نسبته إلى العجز، وعجَّز الرجل وعاجز: ذهب فلم يوصل إليه، ولو يقدر عليه، وقوله تعالى: "**والذين سعوا في آياتنا مُعَاجِزِين**"[2]. قال الزجاج: معناه ظانين أنهم يُعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار، وقيل في التفسير: معاجزين، وتأويلها أنهم يعجِّزون من اتبع النبي ρ ويُثبطونهم عنه وعن الإيمان بالآيات وقد

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب القدر باب كل شيء بقدر، حديث رقم 2655، ج. 2، ص: 2045.

- لسان العرب المحيط: محمد بن منظور، معجم لغوي علمي، قدم له: عبد الله العلايلي، إعداد وتحقيق: يوسف خياط ونديم وعشلي، طبع بدار لسان العرب، بيروت، المجلد II من الزاي إلى الفاء، ص: 691-692.

- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، محي الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: الترزي وحجازي، والطحاوي، الغرباوي، وراجعه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1395هـ/1975م، ج. 15، ص: 199-215.

- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعة مصر، القاهرة، 1381هـ/1961م، ج. II، ص: 591.

[2]- سورة سبأ، الآية: 5.

أعجزهم. وقال ابن عرفة: في قوله تعالى: "معاجزين" أي يعاجزون الأنبياء وأولياء الله أي: يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيِّروهم إلى العجز عن أمر الله، وليس يُعجزُ الله، جل ثناؤه، خلق في السماء ولا في الأرض ولا ملجأ إلا إليه.

وأصل الإعجاز في اللغة: الفوت والسبق أي معناه في اللغة العربية نسبة العجز إلى الآخر وإثباته له. يقال: أعجز الرجل أخاه إذا ثبت عجزه عن الشيء.

والإعجاز من العجز وهو زوال القدرة على الإتيان بالشيء، والإعجاز أيضا إثبات العجز، والعجز هو القصور عن فعل الشيء والإعجاز مصدر أعجز وفي كلام: أن يؤدَّى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع الطرق يقال عجز فلان عن الأمر إذا حاوله فلم يستطعه، ولم تتسع له مقدرته وجهده فالإعجاز ضد القدرة. ومنه قول الأعشى:

فداك ولم يُعجِزْ من الموت ربَّهُ   ولكن أتاه الموت لا يتأبَّقُ

وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.

ويقال: فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل أي: يلجأ إليه.

وإعجاز القرآن مركب إضافي، مكون من (إعجاز) و(القرآن) معناه؛ بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به. والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق، ذلكم هو معنى الإعجاز لغة فما معناه اصطلاحا؟[1].

[(1)]– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، بدون تاريخ، ج. II، ص: 880–881.

– القاموس المحيط: لمحمد مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، طبع بمؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1993م، ص: 663.

– البستان، وهو معجم لغوي، لعبد الله البستاني، مطبعة الأمير كانيه، بيروت، بدون تاريخ، ج. II، ص: 1930.

– مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، طبع بدار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج. II، ص: 382.

ب- الإعجاز اصطلاحا:

الإعجاز هو قصور القدرة البشرية عن محاكاة القرآن والإتيان بمثله، قال تعالى: "**أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي**"[1]. وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي: تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق. وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام التي يعجز البشر عنها ليس، الغرض منها إلا إظهار صدقهم، وإثبات أن ما جاؤوا به إنما هو وحي من الحكيم العليم، وتنزيل من الإله القادر، وأنهم إنما يبلغون رسالات الله، وليس لهم إلا الإخبار والتبليغ، فالمعجزات إذن براهين من الله سبحانه إلى عباده، بصدق رسله وأنبيائه، فكان الله تعالى ــ بواسطة هذه المعجزات ــ يقول: صدق عبدي فيما بلغ عني وأنا أرسلته ليبلغكم ذلك، والدليل على صدقه أن أجرى على يديه خوارق العادات مما لا يستطيع أحد منكم أن يأتي بمثله، ومما ليس بمقدور أحد من الناس أن يجاريه في مثل هذا الأمر العجيب ذلك هو معنى الإعجاز، وذلك هو مفهوم المعجزة[2].

إلا أننا مهما قلنا عن الإعجاز ومفهومه لن نستطيع تحديد مفهومه ولا وصفه بشكل تام ومتكامل. قيل: "إن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن، تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة، إلا بإتقان علمي المعاني والبيان، والتمرين فيها[3].

والإعجاز لا يتحقق إلا إذا توفرت فيه أمور ثلاثة:

- التحدي: أي طلب المباراة والمنازلة والمعارضة.
- أن يوجد المقتضى الذي يدفع المتحدي إلى المباراة والمنازلة والمعارضة.
- أن ينتفي المانع الذي يمنعه عن هذه المباراة.

---

[1] – سورة المائدة، الآية: 33.

[2]– التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني: طبع بمؤسسة مناهل العرفان، بيروت، الطبعة II، 1401هـ/1981م، ص: 6.

[3]– مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، أحمد جمال العمري، طبع بدار المعارف، القاهرة، ص: 10.

والقرآن الكريم توفر التحدي به لأنهم رفضوه وادعوا بأنه ليس كتابا سماويا. ووجد المقتضى لمن تم تحديهم به أن يعارضوه، وانتفى المانع لهم حيث جاءهم من جنس ما برعوا فيه، ومع هذا لم يعارضوه، ولم يأتوا بمثله والمعروف أنه كلما ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز وقوته ووضحت المعجزة.

لقد جاء التحدي في القرآن الكريم بصور متعددة، وأساليب متنوعة، تهز كيان العرب هزا، وتجرهم إلى الميدان جرا، في أسلوب ممتع أخاذ، يملك عليهم شعورهم، ويستحوذ على أفئدتهم، بسحره وجماله ورونقه[1]. تحداهم والكلام كلامهم وهو سيد عملهم، قد فاض بيانهم وجاشت به صدورهم فعجز العرب إذن عن تحديه أو معارضته، وكان القرآن أخبر حين تحدى بأن العاقبة، الإخفاق. فإن قوي الثقلين مجتمعه لتنقطع دون هذا القرآن، حيث قال عز من قائل: "**قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**"[2]. لقد كان موقف العرب من هذا القرآن موقف المبهور المتحير الذي لا يدري إلا أنه أمام قوة فوق قواه، ونصب طاقة معجزة.

لقد صور لنا التاريخ حيرتهم هذه كما سجل القرآن أقوالهم المتخبطة في قوله تعالى: "**وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين**"[3]. وقال Y: "**بل أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر**"[4] وقال جلا جلاله: "**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا**"[5]. كما صور لنا القرآن كذلك موقف العناد الذي وقفوه حين تحدوا فعجزوا حيث قال تعالى: "**قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هو إلا أساطير الأولين**"[6]. بل لقد كان من معانديهم من يلذ له استماع القرآن مسترقا ليرضي فتنة نفسه بهذا الإعجاز الكامل والشامل والجامع لكل وجوه إعجاز القرآن[7]. هذا هو معنى الإعجاز اصطلاحا وإن كان لا يمكن ضبط تعريف دقيق للإعجاز القرآني نظرا للقصور والعجز البشري الذي لا يستطيع إدراك المعنى الحقيقي للإعجاز إلا أن هذا المعنى سيزداد وضوحا عند تعريفنا للمعجزة.

---

[1]- التبيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 7-8 بتصرف.

[2]- سورة الإسراء، الآية: 88.

[3]- سورة سبأ، الآية: 43.

[4]- سورة الأنبياء، الآية: 5.

[5]- سورة الفرقان، الآية: 5.

[6]- سورة الأنفال، الآية: 31.

[7]- رسائل الجاحظ على هامش كتاب الكامل، لمحمد المبرد، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، سنة 1323هـ، ج. II، ص: 105، (انظر كذلك: مفهوم الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص: 10).

2- مفهوم المعجزة:

المعجزة المؤيد بها الرسل أمر خارق للعادة، بأن تظهر على خلافها كإحياء الموتى، وانفجار الماء من الأصابع على وفق التحدي أي: الدعوى للرسالة فخرج عن الخارق للعادة طلوع الشمس كل يوم، والخارق من غير تحد وهو كرامة الولي والخارق على خلافه بأن يدعي نطق طفل بتصديقه فينطق بتكذيبه ويكون كرامة للولي وهو العارف بالله تعالى حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصي. قال أحد العلماء: "ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لا فارق بينهما إلا التحدي[1].

ولتحقيق المعجزة وضع العلماء السابقين جميعا شروطا اعتبروها في المعجزة وهي سبعة شروط:

1- أن تكون قولا أو فعلا أو تركا.

2- أن تكون خارقة للعادة.

3- أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة.

4- أن تكون على يد صاحب الدعوى.

5- أن تكون موافقة للدعوى.

6- ألا تكون مكذبة لصاحبها.

7- أن تتعذر المعارضة، وزاد بعضهم شرطا ثامنا: وهو ألا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها، هذا ما أوضحته كتب ومؤلفات القدماء للمعجزة[2]. فما هي المعجزة إذن لغة واصطلاحا؟

أ- المعجزة لغة:

المعجزة أمر خارق للعادة يعجز الإنسان أن يأتي بمثله، وهي عادة مقرونة بدعوى النبوة والهاء المبالغة جمع معجزات، والمعجوز الذي ألح عليه في المسألة ومنه هو معجوز مثمود.

---

(1)- مفتاح العلوم، لمحمد بن علي السكاكي، بدون تاريخ ولا مكان الطبع، ص: 7.

(2)- مفهوم الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص: 10، (راجع كذلك: أصول الدين، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، طبع بدا الفنون إسطنبول، ط. I، 1346هـ/1928م، ص: 171).

والمعجزة واحدة مُعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يظهرها الله على يد أنبيائه تأيدا لنبوتهم، ومعجزة النبي ρ، ما أعجز به الخصم عند التحدي. هذا باختصار ما اتفق عليه أغلب قواميس السابقين في تعاريفهم اللغوية للمعجزة[1].

ب- المعجزة اصطلاحا:

عرف المعجزة كثير من العلماء في مصنفاتهم ومؤلفاتهم وكتبهم كل عرفها على قدر فهمه وحد مستواه الثقافي نذكر من هؤلاء على سبيل المثال والإجمال لا على سبيل الحصر: البقلاني والصابوني وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون والسيوطي والرافعي والعقاد وغيرهم كثير، وسنحاول تقديم تعريف عام للمعجزة من خلال تعاريف هؤلاء، فالمعجزة شرعا هي الإتيان بالأمر الخارق للعادة، مقرونا بالتحدي مقرا بقصور القدرة الإنسانية ومخالفا للمألوف والمتواتر في المحسوس، ويقوم حجة قاطعة للأنبياء على صدق دعواهم في رسائلهم السماوية والمعجزة، وإن خالفت المألوف فهي تساير العقل والطبيعة[2] ولا تخالف العقل، فإذا كان كل عمل من الأعمال خلقا مباشرا في إدارة الله، فلا فرق بين حكم العقل وبين وقوع المعجزة، ووقوع المشاهد المتكررة في كل لحظة، وإنما يكون الاعتراض الصحيح: هل هي وقعت فعلا أو لم تقع وهل هي لازمة أو غير لازمة للإقناع فلا يمتنع عقلا أن تقع المعجزة، وإنما الذي يمتنع عقلا هو أو تقع عبثا لغير ضرورة مع إمكان الاستغناء عنها، إذا تبين أن إقناع المكابرين كان ممكنا بغيرها، هكذا ينبغي أن يكون البحث في حقائق المعجزات، ولقد أشار القرآن الكريم إلى الخوارق من باب الإعجاز، فردها كلها إلى إرادة الخالق وإذن الله حيث يقول Y: "**إني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله**[3]"[4] وقيل: "إن المعجزات برق

---

[1]- لسان العرب المحيط، مصدر سابق، ج. II، ص: 692.

(انظر كذلك: البستان، مرجع سابق، ج. II، ص: 1524، وانظر كذلك نفس التعريف تقريبا في: الصحاح: مصدر سابق، ج. II ، ص: 881، وراجع المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج. II ، ص: 591. انظر كذلك" القاموس المحيط، مصدر سابق، ص: 663).

[2]- الإعجاز الفني للقرآن، لعمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1400هـ/1980م، ص: 52-53.

[3]- الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، مطابع دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ، ص: 18-19.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 48.

يرينا الله" ونحن وإن لم نعش عصور الأنبياء لنشاهد حقيقة المعجزات، إلا أننا نعيش في القرن الواحد والعشرون وتفصلنا عن عهد محمد ρ، مسافة خمسة عشرة قرنا ونستطيع، إن أردنا بحق أن نعيش في أرقى المعجزات، وخاصة معجزة محمد ρ، المتمثلة في قرآنه الذي أنزله الله عليه، في روحه ونفسه وبيانه ونظمه وفلسفته للحياة[1]. فالمعنى الحقيقي إذن لتسمية ما جاء به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين: ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزيهم عنه فِعْلٌ لله دل على صدق نبيه كمصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه.

وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة، ونبع الماء من الأصابع، وانشقاق القمر، مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله فيكون ذلك على يد النبي ρ من فعل الله تعالى وتحديه لمن يُكذِّبه أن يأتي بمثله تعجيزا له[2]. فالمعجزات إذن أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة، عند دعواه إياها. شاهدا على صدقه، فإذا قام إنسان ما، وادعى أنه مبعوث من الله تعالى إلى خلقه، ورسوله إلى عباده، وقال إن آية صدقي فيما أدعيه أن يغير الله الذي أرسلني عادة أو سنة من سنن الكون العامة على يدي ثم قال: سيأتيكم الله بهذا الأمر العجاب، من باب ترون أنكم فيه نابغون وعليه قادرون وأمامكم الباب مفتوح أجمعين قال ذلك بلغة الواثق، وتحداهم هذا التحدي الظاهر وأعطاهم الفرصة الكافية لمناظرته وأنصفهم كل إنصاف من نفسه، هل يشك كل ذي عقل سليم، في أن هذا الإنسان المتفوق الممتاز صادق في رسالته ومحق في دعوته، خصوصا إذا عرفوا فوق ذلك كله أنه نشأ فيهم على الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، من لدن صباه وطفولته إلى يوم مبعثه ورسالته[3].

والمعجزات إما حسية؛ وهي التي قصد بها العليم الخبير، أن تُجابه الحواس، وتتحدى قدرات البشر. أو عقلية وخص الله بها محمد ρ وأمته، لأنها باقية أبد الدهر، ولكي يبصرها

---

(1)- الإعجاز الفني في القرآن مرجع سابق، ص: 52-53.

(2)- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى اليحصبيي، طبع بحاشيته كتاب مزايا الخفاء عن ألفاظ الشفا، لأحمد بن محمد الشمني، طبع بدار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، الجزء I، ص: 252.

(3)- التبيان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 95.

ذووا البصائر في كل زمان ومكان، فهي تواجه العقل، وتتلقاه بكل ما فيه من قوى الإدراك، وهذا النوع من المعجزات لا تقع من الناس موقعا متقاربا، وإنما يلقاه كل إنسان بما لديه من إدراك، وقدرة على التميز بين المدركات والتفريق بين الخير والشر، فالعقل البشري واحد حيثما كان، والبيئة والتربية يكيفان ويمنهجان، والرسول ρ يشهد على ذلك بقوله: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"[1]. ومن حكمته تعالى، أن كانت معجزات الرسل تختلف باختلاف طبائع العصر وعاداته[2]. فكان لموسى فلق البحر، واليد، والعصا، وتفجير الحجر بالماء الرواء، إلى سائر أعلامه زمن السحر، وكان لعيسى إحياء الموتى وخلق الطير من الطين بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص إلى غير ذلك من المعجزات التي منحه الله إياها في زمن كان الطب سائدا ومتطورا، وكذلك فإن الرسول يأتي بلسان قومه، قال تعالى: "**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**"[3]. كما أن الكتب السماوية معجزة فيما تضمنته من الأخبار الغيبية، وغير معجزة في أسلوبها ونظمها، إلا القرآن الذي جمع بين الاثنين[4]. والمعجزة العقلية تحار فيها العقول وتتساق فيها الأقلام وتختلف فيها الآراء، شأنها شأن إعجاز القرآن الكريم، كما أن معجزات الأنبياء كلهم كانت من جنس ما برع فيه قومهم، فالعرب وقت بعثة الرسول ρ كانوا قوم بلاغة وفصاحة لذلك جاءت معجزته ρ من جنس ما تفوقوا فيه، قرآنا يقرأ ويسمع يمسك البلاغة من أطرافها ويملك الإعجاز من مجامعه[5]. فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد ρ في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجزة معلوم ضرورة[6].

---

[1]– رواه البخاري في صحيحه بلفظه في كتاب فضائل القرآن باب بدء الوحي، ج. 6، ص: 182.

[2]– دراسات في علوم القرآن الكريم، لفهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، طبع بمؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت الطبعة II، 1414هـ، ص: 18–19.

[3]– سورة إبراهيم، الآية 5.

[4]– دراسات في علوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 20–21.

[5]– نفسه، ص: 23. وانظر كذلك: الإعجاز الفني في القرآن، مرجع سابق، ص: 53، وكذلك في كتاب زبدة الإتقان في علوم القرآن، لمحمد بن علوي المكي الحسيني، طبع بدار الشروق جدة، ط. III، 1406هـ/1986م، ص: 139.

[6]– الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مصدر سابق، ص: 253.

3- نشأة الإعجاز وتطوره:

جاء القرآن الكريم معجزة من معجزات الرسول سيدنا محمد ρ على الأرض وأنزله الله تعالى على هذا النبي الأمي، ليكون دستور فهداية للبشرية للإيمان به، وفهم معانيه وتدبر آياته. وقوله تعالى: "**وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**"[1]. وعلى هذا الأساس فمنذ أن نزل القرآن وسمع الناس آياته، وهو موضوع قراءة وتدبر، دراسة ونظر، ولقد عكف المسلمون على كتاب ربهم يحفظونه ويتلونه ويتدارسونه، حتى قطع أكثرهم عمره في الغدو والرواح عليه، ولا يغيب عن أذهانهم، ولا يفارق قلوبهم وأفكارهم.

ونجد أن قضية الإعجاز القرآني لم يتعرض لها أحد من الصحابة أو التابعين منذ عصر الرسول ρ إلى حدود نهاية القرن الثاني الهجري تقريبا.

ولم يكن ذلك تقصيرا في حق دينهم، أو في حق كتاب ربهم وإنما يرجع هذا الأمر إلى العاملين التاليين:

أ– **العامل الأول:** إن العقلية الإسلامية في مبدأ أمرها لم يستهوها النظر في مثل هذه القضايا العميقة، والمسائل الدقيقة، لسموا مقصودها، وارتفاع مستواها العلمي والديني عما هم عليه وقتئذ خصوصا وهم جميعا يؤمنون ويدركون تماما أن هذا القرآن معجزة الرسول سيدنا محمد ρ والتي أيده الله بها، لهذا فهو ليس مجالا للبحث؛ لأن الخوض في مسائله دقيق وحساس جدا.

ب– **العامل الثاني:** إنهم كانوا ينظرون إلى القرآن الكريم نظرة إجلال وتقديس وتهيب لمقامه وصون لذاته، ولأجل ذلك لم يجعلوه هدفا لإبداء الآراء أو مجالا للجدل والخلاف، ولقد وُجد كثيرا من الصحابة والتابعين، وتابعيهم يتجنبون الدخول في مجال التفسير، ولكن عند البحث في أواخر القرن الثاني الهجري ومطلع القرن الموالي، نجد أن الأصمعي، وهو أحد أئمة اللغة، المشهود لهم بسعة العلم، وكدّ الفكر، وحفظ القرآن والحديث النبوي، يأبى أن يفسر شيئا من غريب القرآن، وقال نصر بن علي: "كان الأصمعي يتقي أن يفسر القرآن، كما يتقي أن

[1]– سورة الزخرف، الآية: 43.

يفسر حديث رسول الله ρ"[1]. وإن استقراء المصادر العلمية الأصلية، يوضح لنا خلو القرن الأول الهجري ومعظم القرن الموالي تقريبا من هذا النوع من الدراسات القرآنية التي تتصل بإعجاز القرآن، والتي تهدف الكشف عن مواطن هذا الإعجاز ووجوهه ويعزى ذلك لعمق مثل هذه الدراسات وارتفاع مستواها من جهة ثم إجلالا لعظمة المعجزة الإلهية التي خص الله بها رسوله ρ من جهة أخرى.

وكان لظهور علم الكلام وتطوره ذلك التطور العجيب، واتصاله بكل العلوم الدينية وغير الدينية في أواخر القرن الثالث الهجري أثره العميق في صقل العقلية العربية والإسلامية معا. وكان هذا العلم سببا من أسباب الخلاف بين المسلمين في أمور تتصل بالعقيدة وغير العقيدة، كما كان من دواعي البحث والتعمق في المسائل للوصول إلى أغوارها، ومنذ ذلك الحين وضع المتكلمون القرآن موضع البحث والنظر وجعلوه محور جدالهم ونقاشهم، وكان يدفعهم إلى ذلك العمل دافعان: فمن جهة حرصهم على كتاب ربهم ورفعة شأنه، ثم من جهة أخرى الشعوبية المتطرفة التي تغلغلت في النفوس وأثارت النعرات الكاذبة بقصد الإساءة إلى العرب والإسلام.

وهكذا أصبح النظر في القرآن واجبا دينيا وعلميا وأصبح تقليب وجوه الرأي أمر لا مناص منه بين العلماء وأصحاب الرأي وأهل الفكر، من مختلف الفرق والمذاهب والطوائف للوصول إلى كنه هذا الإعجاز القرآني، ولكن اختلاف آراء العلماء الذين بحثوا إعجاز القرآن الكريم، كان في وجوه هذا الإعجاز، ولكن هل القرآن معجزة بلفظه؟ أم بمعناه؟ أو بكلماته؟ أو أن القرآن معجز بنظمه؟ أو أن إعجازه وقع بما أخبر به عن المغيبات المستقبلية؟ أو بما قص من أخبار الأمم الماضية التي انطمست معالمها وعفت آثارها؟ أو أن إعجاز القرآن كان بكل هذه الأمور مجتمعة؟ كانت هذه معظم وجوه الاختلاف بين العلماء الذين تصدوا لدراسة إعجاز القرآن وقد ظهرت قضية الإعجاز القرآني ونشأة وتطورت إلى أبعد الحدود[2].

---

[1]- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس، مرجع سابق، ص: 42-43.

[2]- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس، مرجع سابق، ص: 44-45.

II- القرآن الكريم:

هو ذلك الكتاب المبين، والكنز المتين، عمدة الملة، وأساس الدين، أودع الله سبحانه وتعالى فيه علم كل شيء وأبان به الرشد من الغي، فهو ينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، والعالم به على التحقيق، عالم بجملة الشريعة، قال تعالى: "**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**"[1]. وقال جل ذكره: "**ما فرطنا في الكتاب من شيء**"[2]، وفي الحديث: "إن هذا القرآن حبل الله المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تسمك به ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد"[3]. وعن ابن مسعود: "إذا أردتهم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين"، فالله سبحانه وتعالى كرم الإنسان تكريما جعله صالحا لمناجاته، مستعدا لقبول تجلياته، ووحيه وخطابه، مهيئا لحمل الأمانة التي أشفقت السماوات والأرض والجبال من حملها قال تعالى: "**إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**"[4]. والله عز شأنه مَنَّ على العالمين؛ إذ بعث فيهم رحمته الشاملة، ونعمته الكاملة، نبيا ورسولا خاتما للنبيين والمرسلين، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب الحكمة، فكان القرآن خاتم الكتب الإلهية، فيه تبيان كل شيء، لإحاطته بكل شيء، إحاطة أعجزت المخلوقات عن محاكاته أو الإتيان بمثله قال Y: "**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**"[5]، فما مفهوم القرآن لغة وشرعا؟

---

(1)- سورة النحل، الآية: 89.

(2)- سورة الأنعام، الآية: 39.

(3)- رواه الدارمي في سننه، بلفظه كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القــرآن، ج. 2، رقم الحديــث 3318، ص: 310.

(4)- سورة الأحزاب، الآية: 72.

(5)- سورة الإسراء، الآية: 88.

1- مفهوم القرآن الكريم:

أ- القرآن لغة:

للعلماء في تعريف القرآن وبوادر اشتقاقه آراء متباينة رغم أن بعضهم عمد إلى أنه اسم علم غير مشتق وإنما هو خاص بالكلام المنزل على محمد ρ. فالقرآن الكريم التنزيل[1] العزيز، وإنما قدِّم على ما هو أبسط منه لشرفه وهو كلام الله المنزل على رسوله ρ المكتوب في المصاحف، والقراءة: ومنه قوله تعالى: "**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**"[2] ومن هذا المنطلق سنحاول أن نذكر أهم آراء العلماء واللغويين في تعريف القرآن الكريم:

قال أبو إسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ρ، كتابا وقرآنا وفرقانا، ومعنى القرآن الجمع ويسمى قرآنا لأنه يجمع السور، فيضمها، وقوله تعالى: "**إن علينا جمعه وقرآنه**"[3] أي قراءته. قال ابن عباس: فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك، وروي عن الشافعي رحمه الله: أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قُسْطَنْطِين، وكان يقول: القرآن اسم، وليس مهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل، ويهمز القرآن كما تقول: إذا قرأت القرآن. وقال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران[4].

وذهب أبو موسى الأشعري إلى أن لفظ القرآن غير مهموز من "قارنت الشيء بالشيء" إذا أضفته إليه وسمي قرآنا لقرآنه السور والآيات والحروف فيه بعضها ببعض ومن هذا المعنى قيل للجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران.

أما الفراء فيرى أنه مشتق من القرائن لأن آياته يصدق بعضها بعضا ويشبه بعضها بعضا ومن ثم فهو مهموز ونونه أصلية.

---

[1]- القاموس المحيط، مصدر سابق، ص: 62.

[2]- سورة القيامة، الآية: 17.

[3]- سورة القيامة، الآية: 16.

[4]- لسان العرب المحيط، مصدر سابق، من القاف إلى الياء، ج. 3، ص: 42-43.

وقال اللحياني وآخرون: بأن القرآن مصدر كالرجحان والغفران سمي به الكتاب من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقالت طائفة منهم الزجاج أنه وصف على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأت الماء في الحوض إذا جمعته. وبناء على هذا يرى أبو عبيدة أن القرآن سمي كذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض بينما يفسر الأصفهاني هذه التسمية بكون القرآن جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة[1].

وقال الهروي: سمي به لأنه جمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد وكل شيء جمعته فقد قرأته وتحذف الهمز فيقال: قريت الماء في الحوض، وقوله تعالى: "**إن علينا جمعه وقرآنه**"[2] أي قراءته[3]. هذه هي خلاصة الأقوال في تعريف القرآن لغة عند العلماء إلا ما أراه جديرا بالإشارة في هذا المجال هو أن محاولات هؤلاء العلماء لمعرفة اشتقاق لفظة "قرآن" إنما جاءت بعد وُرود هذه الكلمة من عند الله تعالى موافقة لصريح اللغة العربية لا من حيث الاشتقاق ولا من حيث الدلالة لأنه هنا سبحانه يخاطب العرب بلغتهم التي يفقهون، ومن حيث اختلاف الآراء حول اشتقاق لفظة القرآن لا يحول دون القول: بأن هذه التسمية هي من عند الله تعالى للدلالة على الكتاب المنزل على محمد ρ، أو على بعضه إذ أن كلمة قرأت تطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن وعلى كل آية من آياته فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن الكريم صح أن تقول إنه يقرأ القرآن بدليل قوله تعالى "**وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**"[4].

وكخلاصة لما سبق يمكن القول إن لكلمة "قرآن" المعنيين التاليين:

الأول: هو مصدري بمعنى القراءة كما تقدم وقد جاء استعماله بهذا المعنى المصدري في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: "**إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه**"[5].

---

[1]– دراسات في علوم القرآن مرجع سابق، ص: 23.

[2]– سورة القيامة، الآية: 16.

[3]– التذكار في أفضل الأذكار، لعبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، خرج أحاديثه وعلق حواشيه أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، بدون مكان الطبع I، 1355هـ، ص: 67.

[4]– سورة الأعراف، الآية 204.

[5]– سورة القيامة، الآيتان: 16–17.

الثاني: هو علم شخصي على ذلك الكتاب الكريم وهذا هو الاستعمال الغالب ومنه قوله تعالى: "**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**"[1]. وهذا العلم الشخصي مشتق من القراءة وعند إذن يكون المصدر قد أطلق على اسم المفعول قرآن أي مقروء[2].

ب- القرآن اصطلاحا:

من رحمة الله بعباده حين خلقهم أن أمدهم بما يهديهم إلى صراطه المستقيم الذي كلفهم بالاستقامة عليه فزودهم بالفطرة التي ترشدهم إلى الحق وتدلهم عليه: "**وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**"[3]. وأرسل إليهم الرسل تصحح لهم عقائدهم وتهديهم إلى ما فيه لهم في الدنيا والآخرة وتبشرهم وتنذرهم قال تعالى: "**رسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**"[4]، وأنزل معهم الكتب تبسط دعوتهم وترسي قواعد دينهم وتجلوا لهم أمور عقيدتهم. وما زال الأنبياء يتتابعون ويبنون صرح الدين الإسلامي، حتى بعث الرسول الكريم محمد ρ وأنزل معه القرآن الكريم فأكمل الله به الدين وأتم به الرسالة فكان خاتم الأنبياء، وكان القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية[5]. فالقرآن إذن هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل υ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، وهذا التعريف الاصطلاحي متفق عليه بين العلماء والأصوليين وعلماء العربية[6]. فالقرآن الكريم أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستورا للأمة وهداية للخلق، وليكون آية صدق الرسول ρ وبرهانا ساطعا على نبوته ورسالته، وحجة قائمة إلى يوم القيامة، تشهد بأنه تنزيل الحكيم الحميد. بل هو

---

(1)- سورة الإسراء، الآية: 9.

(2)- الجامع لأحكام القرآن، لعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، صححه أحمد عبد العليم البردوني، بدون مكان الطبع، ط. I، 1373هـ/1954م، ج. II، ص: 297-299.

(3)- سورة الأعراف، الآية: 172.

(4)- سورة النساء، الآية: 164.

(5)- دراسات في علوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 18-19.

(6)- مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، طبع بدار الملايين، بيروت، ط. 15، 1403هـ/1983م، ص: 21.

"المعجزة الخالدة" التي تتحدى الأجيال والأمم على كرِّ الأزمان ومر الدهور[1]. والقرآن العظيم حبل الله المتين، من اعتصم به نجا وفاز بالحياة الطيبة والنعيم المقيم، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء، وهو الذكر المبارك، الذي تنفجر ينابيع الحكمة من قلوب أهله ليملأ وجودهم علما ونورا وبهجة وحبورا.

هو الشفاء للمتعلقين به، يشفيهم من الأمراض التي يورثها التعلق بالدنيا أشد من التعلق بالله. وهو الحجة البالغة على من أعرض عن الحق ونسي ما قدمت يداه وهو الروح الذي يحي قلوب أحبائه، فلا تغفل قلوبهم عن ذكر الله، هو منادى الإيمان الذي يفرد الله جل جلاله بالتعظيم والتنزيل والربوبية والألوهية. وهو كتاب الله المعجزة للخلق في بلاغته وأسلوبه ونظمه، المعجز في تأثير هدايته، المعجز في علومه وحكمه، المعجز في كشف الحجب عن الغيوب، العلمية الماضية، والمستقبلية[2].

ذلكم هو القرآن المجيد الذي وصفه رب العزة بقوله: "**ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**"[3] ذلكم هو القرآن الذي يقول فيه رسول الله ρ: "إن هذا القرآن أنزل آمرا وزاجرا وسنة خالية، ومثلا مضروبا فيه نبأكم، وخبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يُخلفه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلح، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه[4]"[5]. ومعلوم أن القرآن كلام الله وأن كلام الله غير كلام البشر ما في ذلك ريب[6]. وقد جاء من أخبار الآحاد ما يدل على ذلك منها حديث ابن مسعود رواه أبو الأحوص عنه قال: قال رسول

---

[1]- التبيان في علوم القرآن، لمحمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص: 06.

[2]- مفهوم الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص: 13-14.

[3]- سورة الإسراء، الآية: 82.

[4]- رواه الدارمي في سننه باختلاف في اللفظ، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ج. 2، رقم الحديث 3334، ص: 312-313.

[5]- مفهوم الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص: 15-16.

[6]- مناهل العرفان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص: 14-15.

الله ρ: "إن القرآن كلام الله Y غير مخلوق فمن قال غير ذلك فهو كافر بالله"[1]. ولا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السنة أن القرآن اسم لكلام الله Y الذي جاء به محمد ρ معجزة له غابر الدهور وإنه محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف، معلومة على الإفراد سوره وآياته مبرءات من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، فلا يحتاج في تعريفه بحد، ولا في عصره بعد، وأنه له نصف وربع، فنصفه من آخر سورة "الكهف" إلى آخر سورة "الناس" وله خمس وسبع وتسع وعشر. وفي الكتابة الموجزة في المصاحف، وفي القراءات الموجودة بالألسنة، ستة آلاف آية ومائتا آية وآية. وفيها الحروف ثلاثمائة ألف حرف وأحد عشر ألف ومائتان وخمسون حرفا وحرفا وكلام الله الذي هو صفته لا نصف له ولا ربع، ولا خمس ولا سبع ولا هو ألوف ولا مئون ولا أحاد وإنما هو صفة واحدة، لا ينقسم ولا يتجزأ، وهذا مما يدل على أن التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء فإن القراءة عند أهل الحق أصوات القراء ونغماتهم، وهي اكتسابهم التي يؤمرون بها في حال إيجابا في بعض العبادات، وندبا في كثير من الأوقات ويزجرون عنها إذا أجنبوا ويتابون عليها ويعاقبون على تركها، إنه مقروء، ومتلو بما فيه من الاجتماع والتوالي والتعاقب وهو قراءة المقرئين وأصوات التالين[2].

2- نزول القرآن وأسمائه:

سمى الله سبحانه Y كتابه العزيز بأسماء عديدة نجد منها:

كتابا، متشابها، نبأ، مثاني، قرآنا، فرقانا، حقا، نورا، سراجا، مبينا، بيانا، بينة، هدى، بشرى، موعظة، ذكرى، مباركا، علما، حكمة، رحمة، نعمة، شفاء، كلاما، كلما، قيلا، قولا، حديثا، أمرا، فضلا، مصدقا، تصديقا، مهينا، صراطا، حبلا، شرفا، آيات، روحا، عليا، بشرا، نذيرا، حكيما، كريما، عظيما، مجيدا، عزيزا، تنزيلا، صحفا مطهرة، وتذكرة.

هذا ما تحصل لي من أصل أسمائه من الكتاب وسمي أيضا توراة، ذكره القاضي عياض في كتاب الشفا وقال الله تعالى: "**حم تنزيل من الرحمن الرحيم**"[3]، وقال الله Y: "**تنزيل الكتاب**

---

[1]- أخرجه الخطيب في التاريخ، ج. 1، ص: 360، وأسنده الذهبي في الميزان، ج. 3، ص: 16، ونقله القرطبي في كتابه التذكار، ص: 17.

[2]- التذكار في أفضل الأذكار القرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 8-14.

[3]- سورة فصلت، الآية: 1.

من الله العزيز الحكيم"[1]، وقال جل جلاله: "**إنا أنزلناه في ليلة القدر**"[2]، وقيل المعنى: "إنا ابتدأنا إنزاله إلى سماء الدنيا في ليلة القدر" وقال الله تعالى: "**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**"[3]، ولقد بين الله سبحانه الزمن الذي أنزل فيه القرآن واختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وعلى النبي ρ على ثلاثة أقوال: فروي أنه نزل كما جاء في الأخبار أنه نزل لأربع وعشرين من شهر رمضان؛ أي ليلة خمس وعشرين، وقيل في تفسيره: كان ينزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في كل ليلة قدر ما ينزل على النبي ρ في السنة إلى الليلة التي تليها، فينزل جبريل υ ذلك نجوما بأمر الله تعالى فيما بين الليلتين[4]، من السنة إلى أن نزل القرآن كله من اللوح المحفوظ في عشرين ليلة، وعلى النبي ρ في عشرين سنة. وقيل: بل نزل به جبريل υ جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ووضعه في بيت العزة وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان جبريل υ ينزله على النبي ρ منجما، وكان بين أوله وآخره ثلاثة وعشرون سنة أو خمس وعشرون سنة وهو مبني على الخلاف، وفي هذا الإطار حكى الماوردي عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر، وفي ليلة مباركة. وروى جرير بن حازم قال: "إنه قرأ في كتاب من الكتب أن التوراة أنزلت ست من رمضان وأن الزابور أنزل لثمان عشرة ليلة من رمضان، وأن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين بعد الإنجيل بثمانمائة عام، جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، ففرقه السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل υ على النبي ρ عشرون سنة"، وقال القاضي أبو بكر بن العربي الحاسمي: "هذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد ρ" وقال تعالى: "**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**"[5]، لقد كانت هذه الأقوال ثلاثة وأشهرها الأوسط، واختلف أيضا في كم نزل القرآن من المدة، فقيل في خمس وعشرين سنة، وقال عبد الله بن

---

(1)– سورة الزمر، الآية: 1.

(2)– سورة القدر، الآية: 1.

(3)– سورة البقرة، الآية: 84.

(4)– التذكار في أفضل الأذكار، مصدر سابق، ص: 15–16.

(5)– سورة الفرقان، الآية: 1.

عباس: في ثلاثة وعشرين، وقال أنس بن مالك في عشرين، وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله ρ الذي قيل في شأنه أنه عليه الصلاة والسلام انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو ابن اثنتي وستين سنة، وقيل أنه توفي وهو يبلغ من السن ثلاث وستين سنة ونصف سنة، ولا خلاف أن مبدأ نزول القرآن بمكة، وأن منه مكيا ومدنيا[1].[2].

أ- أول وآخر ما نزل من القرآن:

بالنسبة لأول ما نزل من القرآن ففي صحيح البخاري في حديث بدء الوحي ما يقتضي أن أول ما نزل عليه ρ سورة "العلق" ثم "المدثر"، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صريحا وقال: صحيح الإسناد. وقول مسلم بن الحجاج النيسابوري: "أول ما نزل من القرآن: "**إقرأ باسم ربك**" إلى قوله: "**علم الإنسان ما لم يعلم**"[3]. ووقع في صحيح البخاري إلى قوله: "**ربك الأكرم**"؛ وهو مختصر، وفي الأول زيادة، وهي من الثقة مقبولة، وقد جاء ما يعارض هذا ففي صحيح مسلم: "أول ما نزل من القرآن سورة المدثر"[4]، وجمع بعضهم بينهما بأن هناك من سمع النبي ρ يذكر قصة بدء الوحي، فسمع آخرها، ولم يسمع أولها، فتوهم أنها أول ما نزلت؛ وليس كذلك بل هي أول "أي سورة المدثر" ما نزل بعد سورة "إقرأ" وفترة الوحي، لما ثبت في الصحيحين عن جابر τ أن رسول الله ρ كان يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: "بينما "أنا أمشي" سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه (خوفا) فرجعت، فقلت زملوني زملوني، فأنزل الله تبارك وتعالى: "**يا أيها المدثر قم فأنذر**[5]"[6].

---

[1]- التذكار في أفضل الأذكار، مصدر سابق، ص: 19-20.

[2]- انظر البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، مطبعة دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م، ج. I، ص: 288-232.

[3]- رواه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الإيمان باب بدء الوحي، حديث رقم 52، ج. 1، ص: 139-140.

[4]- رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، حديث رقم 57، ج. 1، ص: 144.

[5]- رواه البخاري في صحيحه بلفظه، كتاب العلم، باب بد الوحي، ج. 1، ص: 3.

[6]- سورة المدثر، الآية: 1.

ولقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة، وأخبر في حديث عائشة أن نزول "إقرأ" كان في غار حراء، وهو أول وحي، ثم فتر بعد ذلك. وأخبر في حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول "**يا أيها المدثر**"؛ فعلم بذلك أن "إقرأ" أول ما نزل مطلقا، وأن سورة "المدثر" بعده. وكذلك قال ابن حيان في صحيحه: "لا تضاد بين الحديثين؛ بل أول ما نزل "إقرأ" بغار حراء، فلما رجع إلى خديجة رضي الله عنها وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة: "**يا أيها المدثر**" فظهر أنه لما نزل عليه "إقرأ" رجع فتدثر فأنزل عليه: "**يا أيها المدثر**".

وقيل أول ما نزل للرسالة: "**يا أيها المدثر**" وللنبوة: "إقرأ" فإن العلماء، قالوا: قول الله تعالى: "**إقرأ باسم ربك**" دال على نبوة محمد ρ، لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص، وقوله تعالى: "**يا أيها المدثر قم فأنذر**" دليل على رسالته ρ، لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام.

وأما آخر ما نزل من القرآن فاختلفوا فيه فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "**إذا جاء نصر الله**"(1)، وعن عائشة سورة المائدة، وقيل قوله تعالى: "**اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله**"(2)، وقال السدي: آخر ما نزل "**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**"(3)، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، آخر آية نزلت قوله تعالى: "**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة**"(4)، وآخر سورة نزلت براءة"(5). وهذه الأقوال ليس منها ما رفع إلى النبي ρ.

ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد، وتغليب الظن، وليس العلم بذلك من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط(6).

---

(1)- سورة النصر، الآية: 1.

(2)- سورة البقرة، الآية: 280.

(3)- سورة التوبة، الآية: 129.

(4)- سورة النساء، الآية: 176.

(5)- رواه مسلم في صحيحه بلفظه، كتاب الفرائض، باب آخر آية نزلت، ج. 5، ص: 61.

(6)- البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج. 2، ص: 206-207.

ب- المكي والمدني:

كما هو معلوم نجد القرآن منه المكي ومنه المدني ونجد للعلماء فيه اصطلاحات ثلاثة أشهرها ما يلي:

* إن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار. أخرج عثمان بن سعيد الرازي بسنده إلى يحيى ابن سلام قال: ما نزل بمكة في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ρ فهو من المكي وما نزل على النبي ρ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني، وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحا.

* إن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا ثبتت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني وقد أخرج الطبراني في الكثير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم ابن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ρ: "أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام". قال الوليد: يعني بيت المقدس وقال الشيخ عماد الدين بن كثير: بل تفسيره بتبوك أحسن. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد وسلع.

* أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، والراجح من هذه المصطلحات هو الاصطلاح الثاني.

ومن ثم فهذا الاصطلاح هو المنهج السليم في معرفة ودراسة المكي والمدني لدى الجمهور والله أعلم[1].

3- معرفة الإعجاز في القرآن الكريم:

لقد كان لنشأة علم الكلام في الإسلام أثر أصدق ما يقال إنه كلام في كلام، وما فيه من وميض التفكير يجر منتجه إلى مجاهل من القول بعضها فوق بعض، وقد بدأت مأساة علماء الكلام في القول بخلق القرآن، ثم اختلفت آراؤهم وتضاربت وجوه إعجازه كما يلي:

---

[1]– الإتقان في علوم القرآن، لعبد لرحمان السيوطي، مطبعة الكستيلية، القاهرة، 1279، ج. I، ص: 10-11.

أ- ذهب أبو إسحاق إبراهيم النظام ومن تابعه ــ كالمرتضى من الشيعة ــ إلى أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، ومعنى الصرفة في نظر النظام: أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة، ومعناها في نظر المرتضى: أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن. وهو قول يدل على عجزهم، فلا يقال فيمن سُلب القدرة على شيء، أن الشيء أعجزه ما دام في مقدوره أن يأتي به في وقت ما، وإنما المعجز حينئذ هو قدر الله، فلا يكون القرآن معجزا، والحديث عن إعجاز مضاف إلى القرآن سوف يظل ثابتا له في كل عصر، لا عن إعجاز الله[1].

قال أبو بكر محمد البقلاني: "ومما يبطل القول بالصرفة، أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه، والقول بالصرفة قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: "**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**"[2]. وهذه الآية دالة على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لن يبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلتهم منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزا غيره وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثل القرآن[3].

ب- ذهب البعض إلى أن القرآن معجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يُعهد لها مثيل، وهذه النظرة نظرة أهل العربية الذين يولعون بصور المعاني الحية في النسج المحكم، والبيان الرائع،.

ج- وبعضهم قال: إن وجه إعجازه في نظمه البديع الغريب المخالف لما يُطَّلع عليها إلا الوحي. أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق بما لا يمكن صدوره من أمي لم يتصل بأهل الكتاب، كقوله تعالى: "**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق**"[4]، وقوله Y: "**وعد الله**

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص: 136-137.

[2]- سورة الإسراء، الآية: 88.

[3]- إعجاز القرآن، للبقلاني أبي بكر بن الطيب، تحقيق أحمد ضفر، طبع بدار المعارف بمصر، 1963م، ص: 30-31.

[4]- سورة الفتح، الآية: 27.

الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض"[1]، وقوله Y: "**ألم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون**"[2]، وقوله جل جلاله: "**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا**"[3]، وسائر قصص الأولين. ويتضح أن هذا القول مردود، لأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها عن المغيبات المستقبلية والماضية لا إعجاز فيها، وهو باطل، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها[4]، قال تعالى: "**فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**"[5]. فدل ذلك على أن المعنى غير ما ذهبوا إليه ويوضح أحد العلماء هذا الوجه بأنه إن اعتبر به في صدق النبوة فصحيح، أما أن يُقال إنه مناط التحدي بإعجاز القرآن فبعيد. أو كما قال: فأما من قال إنه ρ إنما تحدى بالقرآن من حيث تضمن الإخبار عن الغيوب، فبعيد، لأنه تحدى بمثل كل سورة من غير تخصيص. ولا يتضمن كل ذلك الإخبار عن الغيوب ولأنَّا نعلم أنه تحدى بجملته[6]. والحقيقة إن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى وهذا سيتضح إن شاء الله عند الحديث عن جهود العلماء في إبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

4- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

القرآن الكريم ينبوع لا ينضب معينه، وعلميته ليس لها أول ولا آخر ومن غير المستطاع إدراك كل معانيه والإحاطة بكل جوانبه، فكلما تقدم الزمن وظهرت أمور جديدة وآفاق علمية حديثة، وجدنا أساسها الصحيح في القرآن الكريم، وبيانها الشافي في السنة المحمدية الشريفة، وليس هناك قول أعظم دلالة على هذه الحقيقة من قوله سبحانه وتعالى: "**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا**"[7].لذلك فإن

---

[1]– سورة النور، الآية: 53.

[2]– سورة الروم، الآية: 1.

[3]– سورة الروم، الآية: 49.

[4]– مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، طبع بمكتبة المعارف الرياض، ط. I، 1413هـ/1992م، ص: 169.

[5]– سورة البقرة، الآية: 22.

[6]– الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لعائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، طبع بدار المعارف القاهرة، 1919م، ص: 81. وانظر أصول الدين، مصدر سابق، ص: 183–184.

[7]– سورة الكهف، الآية: 104.

العلوم النظرية الأوربية والأمريكية التي نقلناها عنهم كلما تقدمت خطوة إلى الأمام في سبيل الصحة والصواب كلما وصلت إلى فكرة إسلامية. وكل قاعدة نظرية أوربية وأمريكية وغيرها مما هو غير إسلامي تستمر ناقصة أو خطأ أو مبهمة ما لم تتصل بنظيرتها الإسلامية، فالعلوم القرآنية تصحح ما هو خطأ وتكمل ما هو ناقص وتوضح ما هو غامض في العلوم النظرية غير الإسلامية كافة، سواء كانت اجتماعية أو قانونية أو اقتصادية أو سياسية أو علمية محضة أو غيرها. وسنشرع الآن في إثبات ذلك من خلال الإعجاز العلمي للقرآن بشكل مختصر نظرا لكثرة الحقائق العلمية الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على اعتبار أن كل العلوم وحقيقتها يتضمنها القرآن الكريم. مصداقا لقوله تعالى: "**سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد**"[1].

أ- نشأة الكون:

قبل التعرض بشيء من التفصيل لآيات ظهور الإنسان على الأرض يجدر بنا أن نتحدث عن نشأة الأرض والحياة، فمن المعروف علميا الآن أن الأرض تكونت بانفصالها عن الشمس، ويقرر العلماء أن الأرض بدأ تكوينها من الشمس منذ حوالي خمسة بليون سنة، وأن الأرض في ذلك الوقت كانت ساخنة جدا لدرجة أن كل العناصر كانت حُرَّة ولم تكن هناك في البداية مركبات، وتكثفت العناصر الثقيلة كالحديد والنيكل عند مركز الأرض بينما هربت العناصر الخفيفة من جنين الكوكب، وتكون الماء باتحاد غاز الإيدروجين والأكسجين وظل على هيئة أبخرة كثيفة في سماء الأرض ولم يتمكن الماء من الاستقرار على سطح الأرض لسخونتها وظل على هيئة سحب سميكة تحيط بالأرض وتحجب وصول ضوء الشمس إلى الأرض ولم يكن هناك في جو الأرض نور على الإطلاق باستثناء بعض ومضات البرق الهاربة من بين السحب الهائلة والصواعق المنقضة في سلسلة من التفريغات الكهربائية العنيفة بين السحب وبعضها وبين السحب والأرض، ونزل المطر في طوفان من السماء وسرعان ما تبخر عندما تلامس مع صخور القشرة الأرضية الساخنة فعاد إلى السماء مرة أخرى. وهكذا تكرر الطوفان واستمر

(1)– سورة فصلت، الآية: 52.

الظلام ملايين السنين حتى بردت الأرض نهائيا فاستقرت مياه الأمطار في البحار والمحيطات والأنهار الحالية وكانت كمية المياه مقدرة تقديرا إلهيا محكما.

ويعتقد بعض العلماء أن كل سطح الكرة الأرضية كان محاطا بالماء ثم تسرب منه جزء مكونا المياه الجوفية فظهرت اليابسة مشكلة ربع سطح الأرض، وقد فسر هذا الاعتقاد قوله تعالى: "**وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا**"[1]. أي أن خلق هذا الكون وخلق الماء الذي غمر الأرض كلها ومن الماء جعل الله سبحانه كل شيء حي، ولقد تأخر ظهور الإنسان حتى يتم إعداد الأرض بالماء والنبات والحيوان والغلاف الجوي المناسب وصدق تعالى بقوله: "**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**"[2]، ومن المؤكد أن الإنسان لم يظهر إلا بعد أن تم تكوين جميع الجبال التي تعتبر من عوامل التوازن على الأرض[3]، ولقد أشار القرآن الكريم إلى مراحل تكون الأرض ونشأة الحياة في قوله تعالى: "**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها. وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعا لكم ولأنعامكم**"[4]. وتبدأ الآيات بالإشارة إلى أن خلق السماء أكبر من خلق الناس وأن السماء قد بناها الله سبحانه وتعالى، والمقصود بلفظ "بناها" أن الله سبحانه جعل كل جرم في السماء بمنزلة لبنة من بناء منزل لأن أجرام الكون مشدودة بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة تماما كما تربط لبنات المنزل البناء لما فيه من عظمة الإعجاز العلمي للقرآن.

وبالإشارة إلى الجاذبية التي تربط أجرام الكون كما في قوله تعالى: "**الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء**"[5]، ثم يبين لنا الحق سبحانه كيف هيأ الأرض بقوله: "**وجعلنا فيها**

---

(1)- سورة هود، الآية: 7.

(2)- سورة الإنسان، الآية: 1.

(3)- كتاب الكون والإعجاز العلمي، لمنصور محمد حسب النبي، طبع بدار الفكر العربي، القاهرة، طبعة II، 1991م، ص: 315-316. انظر كذلك كتاب: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لزغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1423هـ/2002م، ج. I، ص: 71-74.

(4)- سورة النازعات، الآيات: 27-33.

(5)- سورة غافر، الآية: 64.

رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا"[1]، وقوله جل جلاله: "**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**"[2]، وغيرها من الآيات الكريمة الدالة على أن العناية الإلهية قد أعدت الأرض متاعا للإنسان الذي ظهر عليها أخيرا بعد أن تم تشكيلها وإمدادها بالمياه والجبال والنبات والحيوان وتسخير كل ما فيها لخدمة الإنسان خليفة الله في أرضه وصدق تعالى بقوله: "**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم. وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**[3]"[4].

ب- ظهور الإنسان:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: "**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**"[5]، فتعبير القرآن الكريم بعبارة: "**في أحسن تقويم**" هو تعبير ينطوي على معان جمة يعجز الإنسان عن وصفها. وأقرب شيء يدل على روعة خلق الإنسان هو سيادته المطلقة على سائر الكائنات الحية من نبات أو حيوان لما وهبه الله من عقل بشري يجعله يستطيع أن يؤدي أفعالا كثيرة لا يمكن أن يؤديها غيره من الكائنات الحية مهما بلغ تخصصها، فالإنسان ليست له أجنحة ومع ذلك يطير في الفضاء، وهو سباح ضعيف ولكنه يسافر راكبا بواخر وغواصات وليست له مخالب ولكنه يحفر الأنفاق، وليست لديه أنياب ولا ينفث سما ومع ذلك فإنه قادر على قتل أي كائن حي. حقا لقد وهبنا الله Y أسمى مرتبة بين الأحياء. وسبحانه لم يختص الإنسان بضخامة الجسم أو قوة العضل، فهناك من النبتات والحيوان ما هو أشد بنيانا وأصلب عودا، وإنما ميز الله الإنسان بالعقل فأودع فيه قبسا إلهيا يدعى العقل فجعله بذلك خليفة له في الأرض وصدق الله حين قال: "**إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي**

---

[1]- سورة المرسلات، الآية: 27.

[2] - سورة ق، الآية: 7.

[3]- سورة البقرة، الآيتان: 28-29.

[4]- كتاب الكون والإعجاز العلمي، مرجع سابق، ص: 317-320. انظر كذلك كتاب: الإعجاز العلمي لزغلول النجار، مرجع سابق، ج. II، ص: 34-36. وانظر: المفهوم العلمي للجبال من القرآن الكريم، لزغلول النجار، طبع بمكتبة الشروق الدولية، ط. I، 1423هـ/2002م، ج. III، ص: 93-99.

[5]- سورة التين، الآية: 4.

فقعوا له ساجدين"[1][2]. وهذه الآية تصرح بأن الأصل الذي خلق منه آدم ◌ هو الطين الذي هو مزيج من الماء والتراب. ويقول الحق سبحانه في مطلع سورة الإنسان: "**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**"[3] فهذه الآية الكريمة إشارة واضحة لتأخر ظهور الإنسان على الأرض دون تحديد مطلق لتاريخ ظهور سيدنا آدم ◌. ولقد أشار القرآن الكريم أيضا إلى عدة حقائق علمية لم نستطع حصرها لكثرتها الهائلة ومنها ما اختص بالتناسل الإنساني هذه الحقيقة التي أذهلت لعلماء من بينها:

– تمام الإخصاب بفضل كمية من سائل ضئيلة جدا ويتضح هذا من تكرار قوله تعالى: "**خلق الإنسان من نطفة**"[4]، وقوله تعالى: "**ألم يكن نطفة من مني يمنى**"[5]، وقوله جل جلاله: "**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**"[6]، فالنطفة تشير إلى كمية ضئيلة جدا من سائل مما يتفق مع العلم الحديث الذي يقرر أن الإخصاب يتم بكمية قليلة جدا لأن ما يتسبب في إخصاب بويضة الأنثى هو خلية طولها 0,001 مليمتر تدعى الحيوان المنوي من بين عشرات الملايين الصادرة من الرجل في قذفة واحدة، مصداقا لقوله تعالى: "**ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين**"[7].

– طبيعة السائل المخصب: يفيد القرآن الكريم أن السائل المنوي عبارة عن مخلوط لقوله Y: "**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**"[8]، ولقد ثبت علميا أن السائل المنوي يتكون من خليط من الإفرازات تأتي من غدد مختلفة من الرجل والمرأة.

– استقرار البويضة وتعلقها بجدار الرحم لقوله عز من قائل: "**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق**"[9]، والعلقة هي ما يتعلق أو يلتصق بشيء وهو المعنى الذي يستجيب تماما للواقع الثابت اليوم. ثم بعد ذلك يشير إلى تطور الجنين في الرحم لقوله جل جلاله: "**ثم خلقنا**

---

[1]– سورة الحجر، الآيتان: 28–29.

[2]– الكون والإعجاز العلمي، مرجع سابق، ص: 321–322.

[3]– سورة الإنسان، الآية: 1.

[4]– سورة النحل، الآية: 4.

[5]– سورة القيامة، الآية: 36.

[6]– سورة المؤمنون، الآية: 13.

[7]– سورة السجدة، الآية: 7.

[8]– سورة الإنسان، الآية: 2.

[9]– سورة العلق، الآيتان: 1–2.

النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"[1]. ورغم أن العلم عرف كل هذا التركيب إلا أنه عاجز عن تركيب ولو خلية واحدة من أي كائن حي. فسبحان الله عما يشركون[2].

إذا كانت كل هذه المراحل التي يمر بها الإنسان حتى ولادته التي هي الطريق إلى الدنيا، فقد جعل الله تعالى الموت هو الطريق إلى الدار الآخرة. قال تعالى: "**كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**"[3]، لذلك فإن كل عاقل يرى أن الإنسان لم يخلق عبثا ولا أن يكون خلق إلا لحكمة ولكنه إذا قصر نظره على الحياة الدنيا فلن يجد له حكمة أو معنى، إذن لابد من حياة أخرى تتم الحياة الأولى وتعطي للوجود الإنساني قيمته ومعناه، إذن فقد صدَّقَتْ شواهد الحياة ما قاله المرسلون تماما، كما ترى نصف سيارة أو نصف طائرة أو نصف آلة من الآلات وتحاول أن تعرف الحكمة من ذلك النصف وحده، إنك بالرغم من يقينك بأن ما من جزء من أجزاء ذلك النصف من الآلة قد صُنع عبثا إلا أنك لن تعرف الحكمة من نصف آلة فقط ولن يظهر لها معنى، وستجزم بأن لهذا النصف نصفا آخر يتممه ويكمله ويعطيه المعنى الذي صُنع من أجله وكذلك أمر الحياة الأولى والحياة الأخرى، لا يظهر معنى للوجود الإنساني إلا بالإيمان بهما[4]، وهذا من أرقى قمة الإعجاز الإلهي للعباد. هذا باختصار بعض الجوانب من الإعجاز العلمي الإلهي في القرآن الكريم، تعرضنا له مع جزمنا القاطع أن كل آيات القرآن الكريم معجزة للبشرية جمعاء.

---

[1]– سورة المؤمنون، الآيتان: 12–14.

[2]– إعجاز القرآن في خلق الإنسان، لمحمد كمال عبد العزيز، كتاب مجهول التوثيق، ص: 5–29.

[3]– سورة آل عمران، الآية: 185.

[4]– كتاب توحيد الخالق، لعبد المجيد الزنداني، طبع المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ج. II، ص: 128–129.

III- السنة النبوية الشريفة:

ختم الله Y رسالات السماوات العلا إلى الأرض، برسالة الإسلام، فبعث محمدا ρ رسولا هاديا، مبشرا ونذيرا، قال تعالى: "**وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**"[1]، ونبأه بذلك عام 610 من ميلاد عيسى υ بعد أربعين سنة من مولده ρ، فشرفه الله Y بحمل الرسالة السامية الخالدة إلى الناس كافة. قال تعالى: "**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**"[2]، وأمره أن يبلغ أحكام الإسلام وتعاليمه فقال Y: "**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس، إن الله لا يهدي القوم الكافرين**"[3]، وأمره أن يدعو أهله وعشيرته إلى الإسلام فقال: "**وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**"[4]، ومع تضافر العوامل والجهود الفطرية التي تميزت بها العرب، والمكتسبة المتمثلة في الوحي، ظهر الرعيل الأول الذي حمل مشعل النور والحق إلى العالم، ونقل القرآن الكريم والسنة الطاهرة بكل أمانة وإخلاص، وبما أننا سنتحدث عن السنة النبوية فلننتقل إلى التعريف بها.

1- مفهوم السنة النبوية:

أ- السنة النبوية لغة:

السنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزمن سيرة أنت سرْتها *** فأول راض سنة من يسيرُها

وسننتها سنا وأسننتها سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوا.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 46.

[2]- سورة الأعراف، الآية: 158.

[3]- سورة المائدة، الآية: 69.

[4]- سورة الشعراء، الآيتان: 213-214.

وفي الحديث: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[1].

ويريد من عملها ليقتدى به فيها. "وقيل السنة خاصة بالطريقة الحسنة فإن أطلقت انصرفت إلى المعنى ولا يستعمل في غيرها إلا مقيدة فيقال سنة سيئة. وبهذا المعنى ورد لفظ السنة"[2]، وكل من ابتدأ أمر عمل به قوم بعده، قيل هو الذي سنه.

قال نصيب:

كأني سننت الحب أول عاشق *** من الناس إذا أحببت من بينهم وحدي

وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها: والأصل فيه الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ρ، ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة؛ أي القرآن والحديث. ويجوز أن يكون لفظ (سنة) من سننت الإبل إذا أحسنت رعيتها والقيام عليها. فهي إذن الطريقة المسلوكة، وأصلها من قولهم سننت الشيء بالمسن إذا أمررته عليه حتى يؤثر فيه، سنا أي طريقا، وقال الكسائي: معناها الدوام، فقولنا: سنة معناه الأمر بالإدامة من قولهم: سننت الماء إذا واليت في صبه[3].

ب- السنة النبوية اصطلاحا:

السنة في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي ρ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وهي ترادف الحديث عند بعضهم.

وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي ρ من قول أو فعل أو تقرير.

فمثال القول ما تحدث به في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله عليه الصلاة والسلام: "إنما الأعمال بالنيات"[4] الحديث، وقوله: "لا يجوز وصية لوارث"[5]، ومثال

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه باختلاف في اللفظ، كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث رقم 1017، ج. 4، ص: 2059.

[2]- الوجيز في أصول الفقه، لأحمد شوقي، طبع طوب بريس، الرباط، 1418هـ/1998م، ص: 24.

[3]- لسان العرب: مصدر سابق، ج. 2، ص: 222-223. وانظر السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، طبع مكتبة وهبة، القاهرة، ط. I، 1318هـ/1963م، ص: 14-15.

[4]- رواه البخاري بلفظه في صحيحه، كتاب العلم، باب بدء الوحي، رقم الحديث 1، ج. I، ص: 2.

[5]- رواه الدارمي في سننه، كتاب الوصايا، باب الوصية الوارث، ج. 2، الحديث رقم 3263، ص: 301-302.

الفعل، ما نقله الصحابة من أفعال النبي ρ في شؤون العبادة وغيرها؛ كأداء الصلاة ومناسك الحج، وآداب الصيام، وقضائه، بالشاهد واليمين، ومثال التقرير ما أقره الرسول ρ من أفعال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضا، أو بإظهار استحسان وتأييد.

وقد تطلق السنة عندهم على ما دلَّ عليه دليل شرعي، سواء كان ذلك في الكتاب العزيز، أو عن النبي ρ، أو اجتهد فيه أصحابه، كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد، وتدوين الدواوين، ويقابل ذلك "البدعة" ومنه قوله ρ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"[1].

وفي اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي ρ من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم[2] على ما يقابل البدعة، ومنه قولهم: طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا، ومردُّ هذا الاختلاف في الاصطلاح إلى اختلافهم في الأغراض التي تعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله ρ الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه إسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواء، أثبت ذلك حكما شرعيا أم لا.

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله ρ المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ρ الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي. وهم يبحثون عن حكم شرعي عن أفعال العباد وجوبا، أو حرمة، أو إباحة، أو غير ذلك، وبهذا نكون قدمنا تعريفا شرعيا للسنة.

---

[1]- رواه الدارمي بلفظه في سننه، باب اتباع السنة مقدمة، ج. 1، ص: 45.

[2]- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، طبع مكتبة دار العروبة، القاهرة، الطبعة I، 1380هـ/1961م، ص: 59-60. وانظر التشريع الإسلامي أصوله مقاصده، لعمر الجيدي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م، ص: 94.

ج- مكانة السنة في التشريع الإسلامي:

كان الصحابة في عهد رسول الله ρ يستفيدون أحكام الشرع من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن الرسول ρ، وكثيرا ما كانت تنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة، أو مطلقة غير مقيدة، كالأمر بالصلاة؛ جاء مجملا لم يبين في القرآن عدد ركعاتها ولا هيئتها ولا أوقاتها، وكالأمر بالزكاة، وكذلك كثير من الأحكام التي لا يمكن تنفيذها دون الوقوف على شرح ما يتصل بها من شروط وأركان ومفسدات، فكان لابد لهم من الرجوع إلى رسول الله ρ لمعرفة الأحكام معرفة تفصيلية واضحة.

وكذلك كانت تقع لهم بعض الحوادث التي لم ينص عليها في القرآن فلابد من بيان حكمها عن طريقه ρ، وهو مُبلغ عن ربه، وأدرى الخلق بمقاصد شريعته وحدودها ونهجها ومراميها. وقد أخبر الله في كتابه الكريم مهمة الرسول بالسنة للقرآن أنه مبين له وموضح لمراميه وآياته، حيث يقول الله تعالى: "**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**"[1]، كما يبين أن مهمته إيضاح الحق[2] حيث يختلف فيه الناس بقوله تعالى: "**وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدًى ورحمة لقومٍ يؤمنون**"[3]، وأوجب النزول على حكمه في كل خلاف بقوله تعالى: "**فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**"[4]، وأخبر أنه أوتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم فقال جل جلاله: "**لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**"[5]، وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن الحكمة شيء آخر غير القرآن الكريم، وهي ما أطلعه الله عليه من أسرار دينه وأحكام شريعته، ويعبر العلماء عليها بالسنة، قال الشافعي رحمه الله: "فذكر الكتاب وهو القرآن؛ وذكر الحكمة[6] فسمعت من أرضى أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة

---

(1)– سورة النحل، الآية: 44.

(2)– السنة ومكانتها، مرجع سابق، ص: 61. وانظر أصول الفقه الإسلامي، لوهبة الزحيلي، طبع دار الفكر، دمشق، الطبعة I، 1406هـ/1986م، ج. 1، ص: 149-464.

(3)– سورة النحل، الآية: 64.

(4)– سورة النساء، الآية: 64.

(5)– سورة آل عمران، الآية: 164.

(6)– السنة ومكانتها، مرجع سابق، ص: 62.

رسول الله ρ، وهذا يشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذكر وأتبعَتْه الحكمة. وذكر منَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز ــ والله أعلم ــ أن قال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله ρ، وذلك أنها مقرونة مع الكتاب، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقولٍ فُرض إلا لكتاب الله وسنة رسوله لما وصفها من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به" وواضح مما ذكره الشافعي رحمه الله أنه يجزم بأن الحكمة هي السنة لأن الله عطفها في معرض المِنة من الله علينا بتعليمنا إياها، ولا يمن إلا بما هو حق وصواب، فتكون الحكمة واجبة الإتباع كالقرآن، ولم يوجب علينا إلا إتباع القرآن والرسول، فتعين أن تكون الحكمة هي ما صدر عن الرسول ρ من أحكام وأقوال في معرض التشريع[1].

ولقد أجمع المسلمون على أن سنة رسول الله ρ حجة في الدين، ودليل من أدلة الأحكام، دل على ذلك كتاب الله الذي هو أصل الشريعة، قال تعالى: "**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**"[2]، قال عبد الله بن مسعود: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله". فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت: "يا أبا عبد الرحمان بلغني أنك لعنت كيت وكيت؟ فقال: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ρ وهو في كتاب الله، فقالت لئن كنت قرأتيه لوجدتيه قال تعالى: "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"[3]، والسنة جاءت مبينة لما أجمل من الأحكام في الكتاب من الطلاق والرجعة، والظهار واللعان وغير ذلك، وهو داخل تحت قوله تعال: "**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**"[4]، قال رجل لمطرف بن عبد الله: "لا تحدثونا إلا بالقرآن" فقال مطرف، "والله ما نريد بالقرآن بدل ولكن نريد ما هو أعلم بالقرآن منا". وقال الأوزاعي: "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب، وذلك لأنها تبين المراد منه والجملة فإن حجية السنة من ضروريات الدين. أجمع عليها المسلمون ونطق بها القرآن"[5]. وبهذا تكون السنة أصل ثاني من أصول الدين وحجة على الناس أجمعين، لأنها صادرة عن مشرع معصوم من الوقوع في الخطأ في مجال التشريع.

---

(1)– السنة ومكانتها، مرجع سابق، ص: 63.

(2)– سورة الحشر، الآية: 7.

(3)– رواه مسلم في صحيحه بلفظه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواحد والمتوحدة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، حديث رقم 2125، ج. 3، ص: 1678.

(4)– سورة النحل، الآية: 44.

(5)– أصول الفقه، لمحمد الخضري، طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة I، 1419هـ/1998م، ص: 239.

2- الإعجاز في السنة النبوية وصدقها للقرآن الكريم:

أجرى الله الكون على سنن معلومة، وقوانين محددة، وهذه السنن والقوانين هي ما عودنا الله أن يسير ما في الكون طبقا لها، ولا يستطيع تغييرها إلا الله فإذا أحدث تغيير لهذه السنن على يد رسول، كان ذلك التغيير بمثابة قول الله: صدق عبدي. تسمى هذه الأحداث خوارق العادات، وقد أجرى الله على يد رسوله ρ خوارق متعددة، شاهدها الجيل الذي عاصر حياة الرسول ρ، وتمتاز على خوارق العادات الأخرى التي أيد الله بها الرسل السابقين، في أنها سجلت في كتاب الله الذي لم يتبدل منه حرف، والذي سمعه المسلم والكافر فما كذب به أحد، وفي الحديث الشريف الذي بذل المسلمون الجهود الجبارة التي لم يُعرف لها مثيل في التاريخ: لحفظه وضبطه وتحقيقه، وفي السيرة النبوية التي استقصت تفاصيل حياة الرسول الكريم فأصبحت سيرته عليه الصلاة والسلام أوضح من سيرة حياة أشهر زعيم على وجه الأرض اليوم، كما امتازت هذه المصادر العلمية الإسلامية، بأنها كانت شغل المسلمين الشاغل فأقاموا لها المدارس، وأوقفوا لها الأوقاف الواسعة، وكرموا كل من اتسع علمه في هذه الميادين، فكان القرآن والحديث والسيرة سجلات تاريخية لا يوجد لها نظير في التاريخ.

وفي هذه السجلات التاريخية نجد:

أ- في القرآن الكريم:

أيد الله في ذكره الحكيم رسوله الكريم بإنزال النعاس لتأمين المسلمين في غزوة بدر وأنزل عليهم المطر لتطهيرهم وتثبيت أقدامهم، حتى لا تغوص في الأرض، وقلل عدد الكافرين في أعينهم وكثرهم في أعين الكافرين عند اشتداد المعركة، وأنزل الله جنودا من الملائكة للقتال في صف المؤمنين، كما أنزل جنود لحمايته أثناء هجرته من مكة إلى المدينة، كما غشاهم في غزوة أحد، وسخر له الرياح في قتاله ضد الأحزاب، وأسرى الله برسوله ρ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به ρ إلى سدرة المنتهى. وكذبه قومه وقدم لهم أدلة صدقه فألزمهم الحجة، قال تعالى: "**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**"[1]. وطلب منه كفار قريش أن يصف لهم المسجد الأقصى، فوصفه لهم وصفا دقيقا

[1]- سورة الإسراء، الآية: 1.

فقالوا، أما هذا فقد صدق فيه، وطلب منه آخرون أن يخبرهم عن قافلتهم فأعطاهم خبرها وأوصافها وميعاد وصولها ووصلت في الوقت الذي حدد، وكانت كما وصف، وفُلق له القمر نصفين، فقال أكثر الكفار: سحرنا محمد ــ ρ ــ وقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمد لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فقالوا ذلك، وسجل الله هذا الحادث في كتابه فقال سبحانه: "**اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا سِحْرٌ مستمر. وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمرٍ مستقر**"[1]. وسمع الكفار هذه الآيات فما قالوا: إن هذا القرآن كذب وكان يكفيهم أي خطأ في القرآن، حتى يثبتوا أنهم على حق في تكذيبهم، ولكنهم قد أخرستهم الحقائق الساطعة، وأنزل الله جنودا لقتال الكفار في حنين عندما فر أكثر المسلمين أمام ضربات هوازن وثقيف وغيرها من الخوارق والمعجزات التي نجدها مفصلة في كتاب الله تعالى[2].

ب- في الحديث والسيرة:

كل الخوارق السابقة التي سجلها القرآن قد جاءت مفصلة في كتب الحديث والسيرة، وجاء في كتب الحديث والسيرة من خوارق العادات هذه الكثير، التي كانت تقع في محافل المسلمين، وفي اجتماعاتهم، ورواها بعضهم في وقته وأقرها الباقي بسكوتهم لأنهم يعرفون أنها الحق، ولو عرفوا باطلا ما سكتوا عليه، وهم الذين لا يخافون في الله لومة لائم، ومن هذه الخوارق: تكلم الشجر، والحجر، والحصى، والشهادة له بالنبوة، وتسبيح الطعام، ونطق الحيوان، ونبع الماء من بين أصابعه ρ حتى ما يحتاج المسلمون إلى الماء في أسفارهم أو حربهم، وتكثير الطعام القليل الذي لا يكفي إلا فردا أو فردين حتى يكفي العشرات والمئات من المسلمين، وإبراء ذوي العاهات، وظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ρ، وهي من أمهات المعجزات والخوارق التي كانت تحدث تثبيتا لرسول الله ρ وتدعيما له، وشهادة للناس بصدق نبيهم ρ، ولم يكن الاعتماد على هذه الخوارق في الإقرار بالنبوة، وإنما كانت هذه الخوارق مساندة للبينات والآيات، التي كان الوحي ينزل بها، وتدل بنفسها على أنها من عند الله، وكانت هذه الخوارق تنفع بعض الناس في التعرف على رسول الله ρ والشهادة له بالرسالة.

---

(1)- سورة القمر، الآيات: 1-3.

(2)- توحيد الخالق، مرجع سابق، ج. 2، ص: 96-97.

هكذا جاءت السنة موافقة للقرآن في إعجازه وعلومه ليتضح من خلال ذلك أن السنة النبوية الشريفة معجزة من معجزات الخالق التي مَنَّ بها على رسوله ρ[1][2] رغم أنه كان أميا لم يقرأ، ولم يكتب طوال عمره وسجل القرآن أميته وسمع بذلك أصحابه، وأعداؤه فما كذبوه، وجعل القرآن أمية محمد ρ دلالة على أنه رسول من عند الله، فما عارضوا القرآن لأنهم يعرفون حقا أنه النبي الأمي، فسبحان خالق المعجزات تأيدا لرسله وحجة على الناس.

3- جهود العلماء في إبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

أفرد إعجاز القرآن بالتصنيف عدة علماء منهم: أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي وأبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، وكمال الدين محمد بن علي الزملكاني وفخر الدين الرازي، وابن سراقة، والقاضي أبو بكر البقلاني، وقال ابن العربي المعافري: "ولم يصدق مثل كتابه". وقال أيضا أبو بكر محمد البقلاني: "وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والتصريف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم، قال: ولهذا لم يمكنهم معارضته قال: ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة، والحذف في البلاغة وله طريق تسلك فأما شاء، ونظم القرآن فليس له مثال يحتدى به ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا. ونحن نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر وفي بعضه أدق وأغمض"[3].

وقال الإمام فخر الدين الرازي: "وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب"[4]. وقال الزملكاني: "وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلة مركباته معنى بأن يوقع على فن مرتبته العليا في اللفظ

---

(1)- كتاب توحيد الخالق، مرجع سابق، ج. 2، ص: 98-99.

(2)- الشفا، مصدر سابق، ج. 1، ص: 281-291.

(3)- إعجاز القرآن، للبقلاني، مصدر سابق، ص: 54. وانظر كذلك البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج. 2، ص: 98-99.

(4)- الإتقان، مصدر سابق، ج. 2، ص: 119 نقلا من كتاب التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، ص: 98.

والمعنى"[1]. وقال عبد الحق بن غالب بن عطية: "الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله فإن ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأول وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة إن أحد من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال أن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط، ولهذا ترى البليغ ينتج القصيدة أو الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها، وهلم جر، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب في سلامة الذوق وجودة القريحة وإقامة الحجة على العالم من العرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة"[2].

وقال المراكشي: "الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريف ما يتحرز به عن الخطأ في تأدية المعنى ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها، وإلا لكان كل تأليف معجزا، ولا لإعرابها، وإلا لكان كل كلام معرب معجزا ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا ولا بالصرفة عن معارضتهم لأن تعجيزهم كان من فصاحته"[3]. وقال أبو مسلم الأصفهاني: "اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين: فأحدهما يتجلى في: إعجاز متعلق بنفسه. والثاني: بصرف الناس عن معارضته. فالأول: إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته، أو بمعناه. أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى فإن ألفاظه ألفاظهم. قال تعالى: "**إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**"[4]، ولا بمعانيه فإن كثيرا منها موجودٌ في الكتب المتقدمة، فإعجازه

---

[1]– الإتقان، مصدر سابق، ج. 2، ص: 10 نقلا من كتاب البرهان، للزملكاني.

[2]– البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج. 2، ص: 97، نقلا من مقدمة التفسير لابن عطية، ص: 278–280.

[3]– الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج. 1، ص: 137–138، نقلا من كتاب شرح المصباح، للمراكشي.

[4]– سورة يوسف، الآية: 2.

راجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم، ويكون الإخبار بالغيب إخبار بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدا بالعربية، أو بلغة أخرى فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص". وقال أبو حيان التوحيدي: "سئل بندار الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن؛ فقال: هذه مسألة فيها حيف على المعنى؛ وذلك أنه شبيه بقوله ما موضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودلت على ذاته كذلك لقائه وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده[1].

وقال الخطابي: "قلت في إعجاز القرآن وجها ذهب عنه الناس وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا. إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، من الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص منه إليه"[2]. وقال الزركشي: "وقول أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبه إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق"[3]. وإذا ألقينا نظرة على كتاب من الكتب التقليدية في (علوم القرآن) كإتقان السيوطي، لنستخلص منه ما يتعلق بالأسلوب القرآني فقط باعتباره وجها من وجوه الإعجاز بالنسبة إلى السلف[4].

خاتمة:

إذن هذه بعض جهود العلماء التي بذلوها مشكورين في إبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. ونظرا لانشغاله العميق الذي بذله في هذا المجال ارتأينا القيام بدراسة متواضعة للإمام جلال الدين السيوطي كأنموذج لنوضح الجهود التي بذلها في دراسته للإعجاز القرآني ولكن من

---

(1)– الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج. 1، ص: 139–140، نقلا من كتاب البصائر، لأبي حيان التوحيدي؛ وكذلك نقله صاحب البرهان في علوم القرآن، ج. 2، ص: 100.

(2)– بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، طبع بدار المعارف بمصر، دون تاريخ، ص: 64–65.

(3)– البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص: 106.

(4)– مباحث قي علوم القرآن، لصبحي صالح، مرجع سابق، ص: 321.

هو جلال الدين السيوطي؟ وما هو الإعجاز القرآني عند جلال الدين عبد الرحمان السيوطي؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الفصل الثاني من بحثنا هذا إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني:
عصر الإمام جلال الدين السيوطي وحياته ومؤلفاته

الفصل الثاني: عصر الإمام جلال الدين السيوطي وحياته ومؤلفاته.

مقدمة.

I- العصر:

1- المماليك الأصل والنشأة:

أ- الأصل.

ب- نشأة المماليك ومبدأ أمرهم في السلطة.

ج- الحالة السياسية.

د- السلاطين الذين عاصرهم الجلال السيوطي.

هـ- الحالة العلمية.

II- الحياة والمؤلفات.

1- الحياة.

أ- النسب واللقب والكنية.

ب- مولده.

ج- نشأته.

د- مشيخته.

هـ- تلامذة الإمام السيوطي.

و- مناقبه.

ي- وفاته.

III- مؤلفات الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي.

خاتمة.

الفصل الثاني: عصر الإمام جلال الدين السيوطي وحياته ومؤلفاته:

µ:

من سنن الله التي لا تتبدل أن الإنسان يتأثر بعصره، وأنه لا يستطيع إلا أن يكون ابن زمانه، ولأجل ذلك فإنه من الضروري علميا قبل أن نعرف بهذا العالم الجليل، ونحكم في أمره أن نلقي نظرة موجزة على عصره. فكيف يمكن تسليط الأضواء العلمية بإيجاز على هذا العصر من جهة؟ وعلى حياة هذا العالم فضلا عن إنتاجه الفكري من جهة أخرى؟

I- العصر:

1- المماليك الأصل والنشأة:

أ- الأصل:

يرجع ظهور المماليك في العالم الإسلامي إلى ما قبل قيام دولتهم بأمد طويل، وربما أول من استخدمهم هو الخليفة المأمون العباسي (198-218هـ = 813-833م) إذ كان في بلاطه بعض المماليك المعتوقين، ثم الخليفة المعتصم (218-227هـ = 833-843م) حينما استخدم فرقا من التركمان لتدعيم سلطانه. وقد أخذ بمبدأ استخدام المماليك، ولاة مصر الإسلامية من الطولونيين إلى الأخشيديين ثم الفاطميين.

ولقد كانت الأغلبية العظمى لجماعات المماليك الذين جلبهم الأيوبيون وسلاطين المماليك من بعدهم في مصر من شبه جزيرة القرم، وبلاد القوقاز، والقفجان، وآسيا الصغرى وفارس وتركستان، وبلاد ما وراء النهر فكانوا خليطا من الأتراك، والشراكسة والروم، والفرس والروس، والأكراد فضلا عن أقلية من مختلف البلاد الأوربية، وكان تيار الوافدين من أولئك الأجناس بصحبة النخاسين لا ينقطع بسبب ازدياد حاجة السلطنة إلى اقتناء المماليك واستخدامهم في الجيش، ولأن ثراء الدولة المملوكية وتواتر الأخبار بأن في وظائفها وسلطنتها ميدانا فسيحا

لكل ذي موهبة وقدرة. كل ذلك كان سببا لاجتذاب عدد كبير من أجناس مختلفة إلى مصر[1]. وقيل إن المماليك هم طائفة من الأتراك ابتاعهم في أول الأمر السلطان الصالح نجم الدين أيوب ليكونوا له على أعدائه، واتخذهم بطانة له، وولى كبارهم إمارات دولته وقيادة جيوشه، وأسكنهم معه قلعة الروضة قرب المقياس، وسماهم المماليك البحرية، لأن النيل كان يتفرع هناك في مستقرهم إلى فرعين وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر فسموا بذلك نسبة له.

أما المماليك الجراكسة، فقد كان المنصور قلاوون أحد السلاطين البحرية قد اشترى عددا كبيرا من المماليك ليكونوا له قوة خاصة، وكان قد استقدمهم من بلاد الجركس الواقعة في جبل قاف (قوقاس) شرقي البحر الأسود، واعتنى بتهذيبهم وتثقيفهم، وقربهم إليهم واستخدمهم في بلاطه، وأسكنهم أبراج القلعة فعرفوا بالمماليك "البرجية"[2].

ب- نشأة المماليك ومبدأ أمرهم في السلطة:

نشأ المماليك في قفجاق من شمالي آسيا وكانت من المستعمرات الإسلامية فكانوا يجعلون عليها ولاة من أمراء السلاف الذين كانوا من حكام روسيا فلما غزا المغوليون تلك الأصقاع تحت قيادة باتوخان حفيد جنكزخان أخرجوا منها سكان الولايات القسبينية والقوقاسية فتشتت قبائلهم وتفرقوا في القارة؛ فالخوارزميون نزلوا أعالي سوريا وما بين النهرين وحطوا رحالهم هناك أما ما بقي من تلك القبائل التائهة فلم يجدوا لهم مقرا يقيمون فيه فجعلوا يطوفون البلاد بأولادهم ونسائهم لا يستقرون على حال. وكانت تجارة الرقيق في إبانها فاغتنم تجارها الفرصة، وجعلوا ينتقون من أبناء أولئك المساكين أجملهم صورة وأقواهم بنية وأنورهم عقلا ويبيعونهم بيع السلع أما الضعفاء وقبيحوا الصورة فكانوا يذبحونهم، فأكثر أمراء سوريا وملوكها من اقتناء أولئك الأرقاء البيض، ودعوهم بالمماليك، وكانوا ميالين إلى الاستقلال بالحكم وعدم الرضوخ لأي سلطان لأنهم كانوا كثيري العدد والعِدد وكانت أهم مصالح الدولة في أيديهم وأمنع حصون البلاد في قبضتهم، وكانت سطوتهم تنتشر يوما فيوم إلى أنهم طمعوا بخلع السلطان وتولي الملك

[1]– دراسات في تاريخ المماليك البحرية، لعلي إبراهيم حسن، مطبعة الشبكشي، القاهرة، الطبعة II، 1948م، ص: 21–22. وانظر تاريخ العرب في القرون الوسطى، لناجي معروف وصالح أحمد العلي وعبد الله الفياض، مطبعة أسعد، بغداد، الطبعة II، 1382هـ/1962م، ص: 198.

[2]– تاريخ مصر، لهند اسكندر عمُّون، مطبعة المعارف، القاهرة، سنة 1913م، ص: 204–288.

مكانه. فسعوا في ذلك إلى أن تحقق لهم مبتغاهم بعد موت الملك المعظم لتقوم دولتهم بعد ذلك بحكم امرأة تدعى شجرة الدر وانتهت بحكم صبي يدعى زين الدين حاجي. لتقوم دولة المماليك الثانية الشراكسة[1] وقد دعيت هذه الدولة بدولة المماليك الشراكسة نسبة إلى سلاطينها فإنهم من الشعب الشركسي وتدعى أيضا كركس أو جركس أو كرغز، وهم لم ينشئوا في آسيا العليا وإنما جاؤوا إليها من سيبريا ونواحي بحيرة بيكال منذ الجيل السادس للميلاد ثم هاجروا إلى غربي بحر قسبين فاستوطنوا هناك ودعيت تلك البلاد شركاسيا وكان المماليك الشراكسة يحملون من بلادهم للاتجار بهم في جهات العالم فاقتنى منهم سلطان المماليك البحرية الأخير عددا وافرا، وكانوا يستخدمون في مصالح الدولة فارتقوا فيها حتى صارت إليهم حماية الحصون والقلاع فما زالوا يزدادون عددا وقوة حتى تاقت نفوسهم إلى تسلق كرسي الملك. فانتهى بهم الأمر إلى خلع السلطان حاجي بن شعبان آخر السلاطين البحرية، ومبايعة السلطان برقوق، فقامت بهم دولة المماليك الجراكسة بمصر[2].

ج- الحالة السياسية:

لم تشهد بلاد مصر في تاريخها السياسي فترة أظلم من تلك الحقبة التي خضعت فيها لحكم المماليك البحرية، والجراكسة، من سنة (648ه إلى 923ه/ 1251م إلى 1517م)، فلقد حاق بأهل مصر في هذه المدة ما ران على قلوب هؤلاء المماليك الحكام من الاستعباد والقهر، واشتدت الحياة على المصريين في نظام الإقطاع الذي صار فيه الفلاح المصري أجيرا تتنازع ثمار جهوده أهواء الغالبين وذوي النفوذ من الحكام والكشافة ومن هم على شاكلتهم من التابعين.

وكان أول من تسلطن من هؤلاء المماليك الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحي سنة ثمان وأربعين وتسعمائة بعد زواجه من شجرة الدر، وحدوث الفتن في البلاد، مما ترتب عليه اجتماع رأي الأمراء على إقامة الأشرف مظفر الدين موسى من ذرية الدولة الأيوبية شريكا له في السلطنة، فأقاموه وعمره نحو ست سنين، فصارت المراسيم تصدر

---

[1]- تاريخ مصر الحديث، لجرجي زيدان، طبع بمطبعة المقتطف بمصر، سنة 1306ه/1889م، ج. II، ص: 3-4. وانظر كتاب عصر سلاطين المماليك، لمحمود رزق سليم، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، طبع مطبعة التوكل، مصر، 1366ه/1947م، ج. I، ص: 14-21.

[2]- تاريخ مصر الحديث، لجرجي زيدان، مرجع سابق، ج. II، ص/ 46-228.

عن الملكين إلا أن الأمر والنهي للمعز، وليس للأشرف سوى مجرد الاسم إلى أن قبض عليه المعز وسجنه، وقطع اسمه من الخطبة وانفرد بالسلطنة فكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء. واستمر حكم المماليك البحرية إلى أواخر سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقد فسدت في مدة حكمهم أحوال البلاد وزاد إفساد العرب فيها، فاقتضى الحال إقامة سلطان تجتمع حوله الكلمة، ويسكن به الاضطراب[1]. فتولى السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق بن آلفي وهو جركسي الجنسية ليبدأ به عهد دولة المماليك الجراكسة، ليتعاقب على الحكم بعد موته أربعة وعشرون سلطانا من المماليك الجراكسة، الذين أدرك السيوطي آخر عهدهم، ليعاصر منهم أربعة عشر سلطانا وهم كالتالي:

السلطان الظاهر جقمق: وهو أحد موالي السلطان برقوق بويع بالسلطة بعد العزيز يوسف ولقب بالظاهر. وفي أيامه فشا في القطر طاعون أمات كثيرين، وكان جقمق ينظر بعين الحذر إلى مطامع ولاة الحدود السورية الشمالية، فحاسنهم وصاهرهم حتى اعترفوا له بالسيادة، وكفوا عن السعي وراء الاستقلال. وجدد المحالفة مع بني عثمان لما رأى من ازدياد قوتهم، وكان لينا في حكمه شديد الاحترام للدين ولما بلغ الثمانين من عمره تنازل عن السلطنة لابنه السلطان المنصور عثمان في سنة 857 هجرية وهو من زوجة يونانية، وكان إذ ذاك الخليفة القائم بأمر الله طامعا بالملك، فظل يكيد له، حتى وقعت في مصر ثورة خلع على أثرها السلطان بعد أن حكم شهرا ويوما. ليبايع بعده الأمراء مملوكا منهم فذهبت آمال الخليفة أدراج الرياح. ليتولى السلطان الأشرف سيف الدين إينال الحكم سنة 857هـ. حيث بويع هذا الأخير بالسلطنة بعد عثمان بن جقمق، فعزل من الوزراء عددا كبيرا وفي السنة الأولى لمبايعته فتح محمد الثاني سلطان بني عثمان القسطنطينية، وأرسل وفدا إلى مصر يحمل إلى إينال بشرى النصر فاحتفل إينال بنصر حليفه توثيقا لعرى صداقتهما، وفي سنة 1456 ميلادية وضع الأمير إبراهيم حاكم كرمان يده على أطنه وطرسوس، فسير إينال جيشا لمحاربته، واستعادهما منه سنة 1457 ميلادية ليخلفه بعد ذلك السلطان المؤيد أحمد شهاب الدين سنة 865 هجرية وهو ابن إينال لقب بالمؤيد ولكنه لم يحكم سوى أربعة أشهر رأى نفسه أثناءها عاجزا عن الاحتفاظ بمنصبه، فتنازل

[1]– آخرة المماليك، لأحمد الرمال، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة المعادي، القاهرة، 1382هـ/1962م، ص: 3–4.

عنه للأمير سيف الدين خُشقدم الذي امتدت فترة حكمه من سنة 1461م إلى 1467م. كان يوناني الأصل وقد أحبته الرعية وأخلصت له ولعدله فأحكم قبضته على أعنة السلطنة بحزم وأقعد مناوئيه عن الدسائس، وسجن أشدهم خطرا وحجر على السلطان السالف إينال وفي سنة 1464م بعث إليه محمد الثاني سلطان آل عثمان وفدا أخلّ[1] عمدا بإيعاز من موفده ببعض آداب، لوفود بين الملوك، مما دل صريحا على استخفافه بسلطان مصر وعدم اكتراثه له.

وفي سنة 872هـ بويع بالسلطنة بعد أبيه خُشقدم السلطان الظاهر بلباي واستبد وظلم، فكرهته الرعية وخلعه الأمراء لشهرين من مبايعته.

ليتولى الحكم بعده السلطان تمربغا الذي كان يونيا كسلفه، فوجه للحال عنايته الكبرى إلى قطع دابر كل خلاف وشقاق بين الأمراء والتوفيق بين الأحزاب فأطلق سراح السلطانين أحمد بن إينال وعثمان بن جقمق. ومن كان في السجون من المماليك فكانت عاقبته من وراء هذه الأعمال أن وجد نفسه بلا حزب خاص به يدفع عنه أطماع الطامعين، فثار عليه المماليك وخلعوه، ليتولى بعده السلطان الأشرف سيف الدين قايتباي: الذي كان مقداما ماهرا في فن الحرب وقد بلغ ما بلغه من علو المكانة والشأن ولا سلاح له سوى كبر همته ودهائه وشجاعته، إلا أن عصيان ولايات التركمان على الحدود السورية الشمالية شكلت خطرا على السلطنة المصرية. وقد زادت الحالة حرجا بقيام سلاطين بني عثمان، وكانوا قد أضحوا على عهد قايتباي أقوياء يخشى بأسهم، فأخذوا يتدخلون جهارا في شؤون تلك الولايات ويعضدون الطامعين من أمرائها بالاستقلال عن مصر والتعدي على أملاكها، حتى بلغ منهم أنهم أمدوا العصاة بالرجال والسلاح في قتال نشب بينهم وبين دعاة قايتباي وكان إذ ذاك قد وقعت حرب طويلة بين قايتباي وبني عثمان أسفرت عن خسائر فادحة انتهت باسترجاع أطنه وطرسوس[2] إلا أنه تمت السيطرة مرة أخرى على المنطقتين الأخيرتين من طرف بني عثمان ولم يفز أحد الفريقين بالآخر نهائيا فبادر بيانزيد إلى حقن الدماء وعقد الهدنة مع قايتباي، وبينما مصر تعيش تحت أعباء ضرائب الحروب إذا بوباء فشا فيها سنة 1492م ففتك فتكا ذريعا، وعقبه غلاء وقحط وفي سنة 1495م نشب قتال شديد بين فريقين من المماليك لم يستطع قايتباي كبحه، وكان

[1]– تاريخ مصر، لهند اسكندر عمون، مرجع سابق، ص: 235–236.

[2]– تاريخ مصر، نفس المرجع السابق، ص: 237–238.

قد تجاوز الثمانين من عمره فسئم الملك وتنازل لابنه سنة 901هـ/1496م. ومات غذات تنازله فكان لموته في البلاد وقع أليم فتولى السلطان الناصر محمد بن قايتباي الحكم الذي لم تدم فترة حكمه سوى بضعة أشهر حيث جار واستبد حتى خلعه المماليك وقتلوه، ليجيء بعده السلطان الظاهر قنصوه الأشرف الذي بويع بالسلطنة بعد الناصر، فلعبت به مطامع الأمراء، ولم يلبث أن خُلع كسلفه، ليتولى الحكم بعده السلطان الأشرف جانبلاط الأشرفي سنة 905هـ/1500م. حيث بايعه الأمراء بالسلطنة، وكانوا في شقاق عظيم واضطراب ونزاع فرأى جانبلاط أن يبعد عنهم فتنازل عن الملك فخلفه العادل طومان باي سنة 906هـ/1501م، الذي تولى السلطنة مدة ثلاثة أشهر ثم خلعه المماليك وقتلوه، فتولى بعده السلطان قنصوه الغوري الأشرفي وهو أحد موالي قايتباي، بايعه الأمراء وكان قد تجاوز الستين من عمره فبذل وسعه في التوفيق بين الأحزاب وأحسن حكم الرعية وأسكن ثائريها ولكنه اضطر إلى جباية ضرائب فادحة لخلو خزانة الحكومة من المال فأساء الناس، ولكنهم رضخوا للأمر الواقع خاصة وأنه أنفق القسم الأكبر في تحسين شؤون البلاد، وتحصينها، وظهرت في سني ملكه الأولى طوالع فتن وثورات في الجيش وفي القبائل البدو ولكنه أخمدها قبل استفحالها، وكان البرتغاليون منذ أن فتحوا كالكوتا يقومون بأعمال تضايق المسلمين في الهند وبلاد العرب[1] فاستنجدوا السلطان قنصوه الغوري على أعدائهم، فقبل ذلك وحارب البرتغاليون في البحر الأحمر حتى هزمهم إلا أن النصر لم يبقى حليف بني عمارة حتى اعتاضوا البرتغاليون بنصر مبين في السنة التالية وما زال الفريقان يقتتلان من حين لآخر حتى فقدت مصر مدينة عدن فقضي على تجارتها مع الهند وفي سنة 1512م تولى سلطنة بني عثمان سليم الأول فنقض المحالفة التي كان أبرمها سلفه مع سلاطين مصر، فزحف على سوريا فخرج الغوري بجيوشه فانهزم رغم بسالة المماليك، وظل يحارب مستقلا حتى سقط عن جواده وقتل تحت أرجل الخيل سنة 1516م. ليولى بعده الأشرف طومان باي الثاني الذي كان قد استخلفه الغوري على مصر قبل خروجه منها فبايعه الأمراء بالسلطنة بعد مقتل الغوري، وهو آخر سلاطين الجراكسة، فأرسل إليه السلطان سليم وفدا يسأله أن يحكم مصر كنائب عنه مقابل الرجوع عن قتاله، وكان طومان ميالا إلى قبول هذه المطالب

---

[1]- تاريخ مصر، مرجع سابق، ص: 239-240.

لكن المماليك أبوا إلا الحرب وقتلوا وفد السلطان سليم. وفي هذه الأثناء كان سليم قد دخل مصر وفي 22 يناير 1517م هزم سليم الجيوش المصرية خارج القاهرة ليدخل بعد ذلك القاهرة بصحبة الخليفة الأسير ففر طومان من وجهه، إلا أن أحد العربان ظفر به وباعه للفاتح فشنقه على باب زويلة[1]، وبذلك انقضى عهد المماليك الجراكسة بعد أن تسلطوا نحو 139 سنة ومن ذلك الحين أصبحت مصر إحدى الولايات العثمانية الكبرى بعد أن عاشت مصر خلال فترة المماليك اضطرابا وشيوع الظلم وعدم الاستقرار.

د- السلاطين الذين عاصرهم الجلال السيوطي:

1	الظاهر سيف الدين جقمق: تولى السلطنة سنة 842هـ، وتوفي ليلة الثلاثاء 3 صفر سنة 857هـ.
2	المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق: تولى السلطنة سنة 857هـ، خلع الاثنين مستهل ربيع I، 857هـ.
3	الأشرف سيف الدين إينال العلائي الظاهري: تولى السلطنة سنة 857هـ، توفي يوم الجمعة 15 جمادى I سنة 865هـ.
4	المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال: تولى الحكم "أربعة أشهر"، 15 جمادى الأولى 865هـ، خلع الأحد 19 رمضان 865هـ.
5	الظاهر سيف الدين خشقدم: تولى السلطنة سنة 865هـ، توفي يوم السبت 10 ربيع الأول سنة 872هـ.
6	الظاهر سيف الدين بلباي: تولى السلطنة سنة 872هـ، خلع يوم السبت 10 جمادى الأولى سنة 872هـ.
7	الظاهر تمربغا: تولى السلطنة سنة 872هـ، خلع يوم الاثنين 6 رجب 872هـ.
8	الأشرف سيف الدين قايتباي: تولى السلطنة 6 رجب 872هـ، توفي يوم الأحد لثلاثة بقين من شهر ذي القعدة سنة 901هـ.
9	الناصر الدين محمد بن قيتباي: تولى السلطنة في ذي الحجة سنة 901هـ، خلع في 18

---

[1]– تاريخ مصر، مرجع سابق، ص: 41.

	جمادى الأولى سنة 901هـ.
10	الظاهر قانصوه: تولى السلطنة سنة 904هـ، خلع في أواخر سنة 905هـ.
11	الأشرف جانبلاط: تولى السلطنة سنة 905هـ، دام في الحكم نصف سنة، وخلع خلال نفس السنة 905هـ.
12	العادل سيف الدين طومان: تولى السلطنة سنة 906هـ، وحكم يوم واحد وقتل من طرف المماليك.
13	الأشرف قانصوه الغوري: تولى السلطنة سنة 906هـ، هرب بعد 11 يوما من حكمه ولم يعرف حاله.
14	الأشرف طومان باي: تولى السلطنة سنة 922هـ، دامت فترة حكمه أربعة أشهر ونصف، ليقتله سليم الأول حاكم الدولة العثمانية سنة 922هـ[1].

هـ- الحالة العلمية:

لقد تميز عصر المماليك بالنشاط الثقافي والبحث الواسع للحياة العلمية والأدبية وعلى غير المتوقع، رغم اضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية فقلد كان هذا العصر من أكثر العصور الإسلامية خصوبة في الحياة الثقافية، والعلمية. فقد كانت القاهرة حاضرة العالم الإسلامي ومركز الإشعاع العلمي والثقافي وتوارد إليها الكثير من العلماء من الشرق والغرب ويكفي أن نذكر أسماء بعض العلماء والأئمة لنعلم قيمة العطاء الثقافي الذي أعطاه هذا العصر للمكتبة المصرية خاصة والعربية والفكر الإسلامي عامة، فلقد نبغ مؤرخون ولغويون وعلماء وعباقرة من أصحاب المعاجم والموسوعات الكبرى أمثال: الإمام النووي والقسطلاني وشيخ الإسلام ابن تيمية والسخاوي والمقريزي وابن خلدون وابن منظور والفيروز آبادي وابن مالك وابن هشام والإمام الجليل جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، وغيرهم كثيرون ممن أعطوا اللغة العربية والفكر الإسلامي عطاء دائما أبد الدهور ولم يفت في عزيمتهم جور السلاطين ولم

(1)- الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، لزامباور أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، طبع مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1370هـ/1951م، ج. I، ص: 164.

- وانظر كذلك أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، لمحمد عبد المعطي ابن أبي الفتح بن أحمد بن المغني بن علي الإسحاق المنوفي، طبع مطبعة الأزهرية، القاهرة، الطبعة I، 1311هـ، ص: 141-144.

- انظر الملحق خريطة المجال الذي كان يتواجد فيه الممالك البرجية في القاهرة، الشكل 1.

يفتهم عن رسالتهم فساد المفسدين، ولاشك أن هذا النهوض الثقافي والبحث العلمي كان نتيجة لعوامل عديدة وهي:

*** عوامل خارجية:**

– سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في يد المغول عام 656هـ، وحلول القاهرة محلها كعاصمة للخلافة وقبلة للعالم الإسلامي ثقافيا وسياسيا.

– وفود العلماء والأدباء والشعراء من أنحاء العالم الإسلامي إلى القاهرة فرارا من بطش المغول أو الصليبيين أو الإسبان في الأندلس بعد سقوطها وخروج المسلمين منها، طمعا في العيش بأمان والاستقرار، لكون القاهرة أكثر أمنا واستقرارا من عواصم الإسلام الأخرى المعرضة للغزو في الشرق والغرب.

*** عوامل داخلية:**

– احترام سلاطين المماليك للعلم والعلماء واعتزازهم بكثرة العلماء والأدباء والشعراء في بلاطهم وإغداقهم بالعطايا كعامل للتقرب لعامة الناس، فحصل العلماء على تشجيع واسع النطاق، وعكف الكثير منهم على الاشتغال بالعلم والتأليف واستيعاب الكتب، وحصل الطلبة على كثير من أنواع البر بما يعينهم على طلب العلم، فرصدت الأوقاف الواسعة عليهم ونشطت الحركة العلمية والتربوية والفكرية، فقد تسابق أهل هذا العصر، إلى إنشاء دور العلم والوقوف عليها تقربا إلى الله تعالى. وشمر علماء مصر عن ساعد الجد، لتعوض ما بدد من التراث الإسلامي في بغداد والأندلس وصقلية وغيرها، فألفوا الكتب وصنفوا الموسوعات وكتبوا في كل العلوم والفنون.

– استمرار المماليك على نهج الأيوبيين من حيث إنشاء المدارس ومعاهد العلم والمساجد وإصلاح القديم منها، والتي كانت مراكز علمية هامة يفد إليها طلاب العلم من أنحاء العالم الإسلامي[1].

ومن المراكز العلمية التي كانت قائمة في عصر الإمام جلال الدين السيوطي:

---

[1]– كتاب الإمام جلال الدين السيوطي، الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته، بحوث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الأزهر، القاهرة، مطبعة إليت، الرباط، 1416هـ/1995م، ج. 1، ص: 39–40.

– **الجامع الأزهر:** الذي أنشأه جوهر الصقلي؛ قائد المعز لدين الله الفاطمي وكان الأزهر صرحا علميا شاهقا ولا يزال حتى يومنا هذا.

– **الجامع الطولوني:** أنشأها ابن طولون[1].

– **المدرسة الصلاحية:** التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي، بجوار رقبة الإمام الشافعي.

– **المدرسة الجمالية:** أنشأها الوزير الجمال عام 830هـ وعين لها شيوخا أجلة منهم الشمني شيخ الإمام جلال الدين السيوطي.

– **المدرسة المؤيدية:** أنشأها المؤيد المحمودي سنة 819هـ وقام بالتدريس فيها علماء كبار منهم شمس الدين المقدسي.

– مدرسة السلطان حسن[2]: أنشأها حسن بن محمد بن قلاوون 757هـ وقد أنفق عليها أموالا طائلة[3].

– ومن أشهر المدارس التي أنشئت بمصر على عهد المماليك مدرسة عرفت بالمحمودية، وكان الذي أنشأها محمود بن علي السودويني المتوفى سنة 799هـ، وكان بالمدرسة المذكورة خزانة قيمة تحتوي مؤلفات بخطوط مؤلفيها كان محمود السودويني قد حصلها من تركة برهان الدين بن جماعة المتوفى سنة 790هـ، ووقفها على خزانة مدرسته، واشترط في وثيقة الوقف ألا يخرج من كتب المدرسة أي كتاب وضاق السيوطي الذي كان يريد أن ينتفع بنفائس الخزانة المحمودية في سعة الوقت الذي اشترط الواقف، وأراد أن يتخلص منه فأفتى بإلغائه وعنون فتواه **(بذل الجهد في خزانة محمود)**[4].

يضاف إلى ذلك المدارس والجوامع والمساجد التي بناها السلاطين المماليك أيام الجلال السيوطي من بينها: ما قام به السلطان قايتباي الذي عمر عمارات ومساجد ورباطات ومدارس وأسبلة وغير ذلك، منها أنه أمر ببناء مسجد الحنيفي فبني بناء محكما كما أمر ببناء مدرسة

---

(1)– انظر الملحق، صورة لهذه المدرسة، الشكل 2.

(2)– انظر الملحق، صورة لمنبر الجامع الطولوني، الشكل 3.

(3)– كتاب الإمام جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ص: 41.

(4)– كتاب مكتبة الجلال السيوطي، أحمد الشرقاوي إقبال، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، سلسلة الفهارس (٢)، الرباط 1397هـ/1977م، ص: 101.

ملاصقة للحرم المكي فبنيت وأُحْكم بناؤها وقرر بها خدمة لطلبة العلم للمذاهب الأربعة وهي باقية عامرة لم يحصل لها خلل. وحصل في عهده أن حرق المسجد الشريف النبوي فأمر بعمارة المسجد الحرام وإعادة ترميمه وأن تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف ولما تمت العمارة أرسل إلى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة، وأرسل عدة مصاحف والمدرسة باقية إلى الآن في غاية الانتظام وهي على يسار الداخل إلى الحرم الشريف النبوي.

ولما استلم الغوري الحكم ابتنى في القاهرة جامعا ومدرسة ينسبان إليه وهما مدرسة الغورية وجامع الغورية، وله مآثر من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة المدرسة التي برأس الشويين وعمارة منارة بالجامع الأزهر وعمارة جامع بندر عقبة أيلة، وما يليها من الكشك والمجالس وغير ذلك[1].

أما الملك جانبلاط فقد بنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيون في سنة 1214م. أما الملك العادل طومان باي فقد بنى مدرسته العادلية خارج باب النصر وقد خربها الفرنسيون أيضا[2].

كما أن المماليك أكثروا من إحداث الخوانق والربط وجعلوا لها أوقافا، وقد كان لها دور هام في نشر العلم وتخريج الأئمة والمتصوفة وأصحاب الطرق والثقافات الروحية، أمثال: الخاناقاه البيبرسية، وخانقاه سعيد السعداء، وخاناقاه شيخون ومن الربط أيضا؛ وهي دور يأوي إليها المتصوفة، رباط العلائي وغيرها. والملاحظ أن سلاطين المماليك كانوا ينشؤون المكتبات جنبا إلى جنب مع المساجد والمدارس، كما أن المدارس والمساجد ذاتها كانت لها مكتباتها الملحقة بها والخاصة بطلابها والمترددين عليها.

ومن أشهر المكتبات في ذلك العصر:

- خزانة الكتب المحمودية التي بناها جمال الدين محمود.
- خزانة الكتب بجامع المؤيد.
- خزانة الكتب بجامع الخطري ببولاق.

---

(1)– أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، مصدر سابق، ص: 142–144.

(2)– نفسه، ص: 149. وانظر تاريخ مصر الحديث، مرجع سابق، ج. 1، ص: 61. وانظر عصر السلاطين المماليك، مرجع سابق، ج. II، ص: 17–27.

خزانة الكتب بالقبة المنصورية التي أنشأها المنصور قلاوون[1].

وهناك مكتبات كثيرة غير هذه، كان لها أكبر الأثر في نشر الوعي والنهضة الفكرية والعلمية.

ويضاف إلى هذا كله أن مدنا إسلامية كثيرة إلى جانب القاهرة، كانت مراكز هامة للعلم والتعليم، مثل مدينة دمشق وحلب والإسكندرية وأسيوط وحماه ومكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان التبادل العلمي والثقافي بين هذه المراكز على قدم وساق، إذ قلما نجد عالما أو إماما إلا وتردد على معظم هذه المراكز الهامة في رحلات علمية هادفة كما فعل إمامنا جلال الدين عبد الرحمان السيوطي رحمه الله[2].

وخلاصة القول إن الساحة العلمية كانت نشيطة نشاطا كبيرا لا زال ثمار هذه الحركة العلمية ننتفع بها إلى الآن على عكس ما كانت تعيشه الساحة السياسية من تدهور واضطرابات التي لم تؤثر رغم ذلك على البحث العلمي والجهود الثقافية.

II- الحياة والمؤلفات:

1- الحياة:

أ- النسب واللقب والكنية:

هو عبد الرحمان بن كمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناضر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضري الأسيوطي[3]، يكنى بأبي الفضل، ويتلقب بجلال الدين؛ لما عرض محافظه على العز الكناني الحنبلي فقال له: ما كنيتك فقال: لا كنية لي فقال: "أبو الفضل" وكتبه بخطه.

هكذا انتسب السيوطي وانتمى في ترجمته التي كتبها بقلمه في كتابه حسن المحاضرة، وتجد في سلسلة هذا النسب ألقابا يقوم التشرف فيها على الدين، وفخر الدين وهمام الدين،

---

[1]- انظر صورة للقبة والمدرسة بالمحلق، الشكل 4.

[2]- كتاب الإمام جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ج. 1، ص: 41.

[3]- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمان السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع بدار الفكر، بيروت، ط. II، 1399هـ/1979م، ج. I، ص: 10.

وناضر الدين، ونجم الدين، وسيف الدين، وفخر الدين، فتعلم من ذلك أنها أسرة مؤمنة تعتز بالدين وتتشرف به، وتجد في صدر هذا النسب لقب همام الدين يتجلى به جده الأعلى الذي كان شيخا من المتصوفين وتجد عجزته لقب كمال الدين الذي كان يتلقب به والده. ويتكلم السيوطي عن أصل والده فيقول: "وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي رحمه الله يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا" ولكنه يعود فيتحدث عنه تارة أخرى فيقول فيه: "ووالدي من خير العرب لأنه من سلالة الصحابة، وربما قيل أكثر من ذلك والصمت عنه أقرب إلى الإصابة" وعساه أن يكون بحث في نسبه فحقق ما خالف الرواية عن أبيه في كونه ينحدر من أصل عجمي.

ويقول في نسبه بالخضري ما نصه: "وأما نسبتنا بالخضري فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية؛ محلة ببغداد" ويتكلم مرة أخرى فيقول: "الخضير مصغرا إلى الخضيرية محلة ببغداد وهو من أنساب أسلافي، فالظاهر أنه إليها".

والسيوطي وهي نسبته بالبلدية، انتساب إلى أسيوط، من المدن الكبرى بصعيد مصر، وهي الآن مديرية وعاصمة، وقد تكلم السيوطي عن هذه النسبة أيضا فقال: "الأسيوطي بضم أوله والتحتية، وسكون السين إلى أسيوط، ويقال: سيوط بلد بصعيد مصر". ولا يستنكف السيوطي من أن تكون أمه أعجمية، وهو يرى أن التزاوج بين العربي والعجمية يعطي أنسالا جيدة، ويرد على من ينقض أمه بأنها جركسية فيقول: "وقولك: إن والدتي أجدها من الفرس لأنها جركسية تنقض بذلك وتذم، جوابه أن النسب إلى الآباء لا إلى الأم وقد نص العلماء على أن أغلب نُجباء الأمة وكبرائها أولاد سراري، وقالوا: أن الولدان المتولدين بين العربي والعجمية أنجب لأنه يجمع عز العرب ودهاء العجم، وهم أبهى منظرا وأعظم خلقا وأعجب[(1)].

ب- مولده:

ولد جلال الدين عبد الرحمان السيوطي بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وكان مسقط رأسه ببلدة أسيوط، سكن أجداده ومأوى أسلافه[(2)]. وقد أنجبته والدته وأبوه بالغ في السن مبلغ النضج، فجاء عبد الرحمان ناضجا من يومه على قول

---

[1]- كتاب مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 11-12.

[(2)]- نفسه، ص: 14.

الأخصائيين في علم الأجناس وكأنما توسم فيه والده شيئا من ذلك، إذ قرت به عيناه حين رزقه وهو مشرف على الخمسين فعنى بتعليمه أشد عناية، وحفظه جزءا كبيرا من القرآن، واستصحبه أكثر من مرة إلى مجلس ابن حجر في الحديث[1]، كما حمل في حياة أبيه إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل كان من الأولياء بجوار المشهد النفيسي، فبرك عليه.

ج- نشأته:

من الواضح وحسب ما أشارت إليه المصادر أن الإمام جلال الدين السيوطي، توفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، فنشأ يتيم الأب، وتولى أمره كفلاء أخيار، كلهم بره ورعاه حق الرعاية، وكان من بين من كفلوه الكمال بن الهمام الحنفي، مدرس الشيخونية ومؤلف فتح القدير للعاجز الفقير، وهو كان يسعى له في شؤونه المساعي الحميدة، وله عليه في تدبير أموره أيادٍ مشكورة[2].

ورغم الصعوبات والتحديات التي قابلته واعترضته على اعتبار العصر الذي عاش فيه فقد نشأ عالمنا جلال الدين السيوطي وسط تلك الظروف، فأفاد من حسنات هذا العصر ونال منه اليسير، فتأثر بها، وأثر فيها، وكانت حياته ومصنفاته صورة صادقة لها، فهو أحد أفراد الزمان علما وتحقيقا وحفظا، وفقها واجتهادا في مختلف الأصول والفروع، وذلك راجع لنشأته كذلك في بيت عرف بالعلم والوجاهة حيث كان جده الأعلى من أهل الحقيقة والتصوف، ووالده كان من الفقهاء الذين خدموا العلم، وكان يختم القرآن في كل أسبوع مرة، وظهرت باكورة ثقافته ونبوغه وتوفقه وذكائه وهو في الخامسة عشرة من عمره إذ شرع بالاشتغال بالعلم، ثم التأليف ومن المعروف أنه ألف في تلك السنة كتاب في شرح الاستعاذة والبسملة [3].

د- مشيخته:

لقد أتاح للسيوطي المناخ الثقافي الذي عاش فيه أن يتتلمذ على أساتذة كبار جلهم كان رأسا في علمه وقمة في فنه، فاستطاع أن يختم القرآن وهو دون الثامنة من عمر، فدل بذلك

---

[1]- المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، لمحمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949م، ص: 57-58.

[2]- كتاب مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 28.

[3]- انظر كتاب الإمام جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ج. 1، ص: 110.

على ذاكرة قوية وحافظة واعية ثم أخذ في طلب العلم بأنواعه، فلم يتعارض عليه فرع أو يتعاظمه فن، إلا الحساب فإنه ثقل عليه النظر فيه لعدم ملاءمته طبيعته، وأما المنطق فإنه كرهه وعزف عنه لسبب مشابه، وما عدا ذلك من العلوم، كالتفسير والحديث والفقه، والنحو والمعاني والبيان والبديع، وأصول الفقه والجدل، والتصريف والإنشاء والترسل، والفرائض والقراءات والطب، فالسيوطي نفسه قال إنه درسها حتى بلغ فيها درجات متفاوتة في الكمال، وإنه رزق التبحر في السبعة الأولى منها حتى فاق أشياخه كلهم فضلا عمن هو دونهم علما وزمنا[1].

وهذا راجع إلى تتلمذه على طائفة من أعلام عصره ومشايخ عهده كان فيهم مفسرون كبار ومحدثون حفاظ، وفقهاء فحول وعلماء عربية حذق، فلقد تلقى سائر العلوم على أيديهم منذ مستهل عام 864هـ وهو في الخامسة عشر، وكان من هؤلاء الأعلام:

- تقي الدين الشلبي الحنفي الذي قال السيوطي في شأنه: "ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشلبي الحنفي، فواضبته أربع سنين وكتب تقريضا على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع في العربية وشهد لي التقدم في العربية بلسانه وبنانه غير مرة".

- العلامة محي الدين الكافجي (788–879هـ)، وقد تلقى على يديه التفسير والأصول والعربية والمعاني، ولزمه أربع عشرة سنة وكتب له إجازة عظيمة، قال السيوطي في حقه: "شيخنا العلامة محي الدين محمد بن محمد بن سليمان الإمام المحقق، علامة الوقت، وأستاذ الدنيا المعقولات ولد قبل 800هـ تقريبا، وأخذ من البرهان حيدرة وجماعة، مات ليلة الجمعة 4 جمادى الأولى سنة 879هـ".

- الشيخ سيف الدين الحنفي: الذي حضر عنده دروسا عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه، وتلخيص المفتاح والعضد حيث قال في شأنه: "وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروسا عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه وتلخيص المفتاح والعضد".

---

[1]– المؤرخون في مصر ق. 9هـ/15م، مرجع سابق، ص: 58–59.

- الشيخ شهاب الدين الشارمساجي: الذي أخذ الفرائض عنه، يشهد السيوطي بذلك فيقول: "وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشرمساجي الذي كان يقال: (إنه بلغ السن العالية وجاوز المائة بكثير)".

- العلامة محمد بن سليم الكافيجي: فقد قرأ عليه شرح القواعد له وأشياء من مختصراته، وسمع له من الكشاف وحواشيه والمغني وتوضيح صدر الشريعة، والتلويح للتفتازاني، وتفسير البيضاوي وغير ذلك.

- تقي الدين الشمني: (801-871هـ) وهو أستاذ في التفسير والحديث والعربية وقد لازمه أربع سنين، ولما مات الشمني رثاه السيوطي بقصيدة شعرية طويلة.

- جلال الدين المحلي (توفي 864هـ) حضر ودرس عليه يومين في كل أسبوع سنة كاملة.

- محمد بن سعد الدين المرزباني الحنفي (توفي 867هـ) لازمه حتى رحل إلى جوار ربه، فقرأ عليه الكافية وشرحها للمصنف وسمع من المتوسط والشافية ومن ألفية العراقي.

- الشمس محمد بن موسى الحنفي إمام الشيخونية الذي أخذ عنه النحو.

وغير هؤلاء كثير، فقد تلقى شيخنا السيوطي العلم على نحو مائة وخمسين شيخا حيث قال: "وأما مشايخي في الرواية سماعا وإجازة فكثير أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه وعددتهم نحو مائة وخمسون".

كما قرأ السيوطي على عالمات من نساء عصره منهن:

- أم الفضل بنت محمد المقدسي.
- خديجة بنت أبي الحسن
- أسية بنت جار الله بن صالح الطبري.
- سارة بنت محمد البسالي.
- صفية بنت ياقوت المكية.
- هاجر المصرية.
- أم الفضل المصرية.
- أم هاني بنت أبو الحسن الهرويني.
- فاطمة بنت اليسير.
- نشوان بنت عبد الله الكتاني.
- هاجر بنت اليسير.
- هاجر بنت الشرق المقدسي.
- أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي.

ونافلة القول أن ثقافة جلال الدين السيوطي كانت واسعة جدا، وعميقة بعض العمق حيث كانت راجعة إلى جهوده المبذولة في المطالعة من الكتب أكثر مما كانت عائدة إلى مشاهير من علماء عصره[1].

هـ- تلامذة الإمام السيوطي:

لقد كان تبحر الإمام جلال الدين السيوطي في العلم، ورغبته في نشره وإذاعته وحرصه على إفادته، مع ورعه وبصيرته في الدين قد اجتلبت إليه طائفة من المريدين، وجمعت حوله ثلة من التلاميذ ليأخذوا من هديه وليقتبسوا من علومه كان من بينهم:

- محمد بن علي الداوودي المالكي مريده وتلميذه، وناسخ كتبه ومترجم حياته.

- زين الدين أبو حفص عمر ابن أحمد الشماع، الفقيه الصوفي الأثري محدث حلب ومؤلف الكواكب النيرات في الأربعين البلدانيات، والعذب الزلال في مناقب الآل، وبلغة المقتنع في آداب الممتنع.

- محمد ابن أحمد بن أياس مؤلف التاريخ المسمى: ببدائع الزهور في وقائع الدهور.

- محمد بن يوسف الشامي الصالحي ثم المصري مؤلف الإتحاف في ما يتبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف. وقد كان يجلس بين يدي شيخه السيوطي للقراءة وأجازه إجازة عظيمة، فيشهد بذلك محمد بن يوسف الشامي بقوله: "أرسل لي ورقة مع ولدي بإجازته لي بجميع مروياته ومؤلفاته لما جئت إلى مصر قبيل موته اجتمعت به مرة واحدة فقرأت عليه بعض الأحاديث من الكتب الستة وشيء من المنهاج في الفقه بتركيا".

ولإمامنا الجليل السيوطي تلاميذ كثر فيهم محدثون وفقهاء وعلماء عربية ، لكن الجلال السيوطي عني بالتأليف أكثر مما خرج التلاميذ بالإقراء والتدريس[2]. ومن المدارس التي تولى مشيختها فمن بينها: توليه مشيخة المدرسة الشيخونية مكان أبيه سنة 872هـ، وتولى مشخية التصوف بتربة برقوق، ثم تولى مشيخة البيبرسية مكان الجلال البكري سنة 891هـ واستمر

---

[1]- مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 15-16. وانظر كتاب الإمام جلال الدين السيوطي، ج. 1، ص: 110-111 (بتصرف).

[2]- مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 17-18.

شيخا عليها حتى سنة 906هـ فصرف عنها بأمر من السلطان طومان باي، وكان من متصوفتها، ثم عاد فعرض عليه مشخيتها مرة ثانية سنة 909هـ فامتنع عن ذلك وأبى[(1)].

و- مناقبه:

لقد كان جلال الدين عبد الرحمان السيوطي أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالا وغريبا ومتنا وسندا واستنباطا للأحكام منه وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، قال: "ولو وجدت أكثر لحفظته، ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك". ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاشتغال به صَرْفًا والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحد منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس واعتذر عن ذلك في مؤلف سماه بالتنفيس، وأقام في روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات. ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل من سكناه، وكان الأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها وأهدى إليه الغوري خصيا وألف دينار فرد الألف وأخذ الخصي فأعتقه وجعله خادما في الحجرة النبوية وقال لقاصد السلطان: "لا تعد تأتينا بهدية قط فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك". وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه ورأى النبي ρ في المنام والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث والنبي ρ يقول له: "هات يا شيخ السنة" ورأى هو نفسه هذه الرؤيا والنبي ρ يقول له: "هات يا شيخ الحديث، وكان يقول رأيت النبي ρ يقظة فقال لي: "يا شيخ الحديث" فقلت له يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم. فقلت: من غير عذاب يسبق فقال: لك ذلك". وقال الشيخ عبد القادر الشاذلي قلت له كم رأيت النبي ρ يقظة؟ فقال: بضعا وسبعين مرة. وذكر خادم الشيخ السيوطي محمد بن علي الحبال أن الشيخ قال له يوما وقت القيلولة وهو عند زاوية الشيخ عبد الله الجيوشي بمصر بالقرافة أتريد أن تصلي العصر بمكة بشرط أن تكتم ذلك حتى أموت قال: فقلت نعم. قال: فأخذ بيدي وقال: أغمض عينيك فغمضتهما فرحل بي نحو سبع وعشرين خطوة قال لي افتح عينيك فإذا نحن بباب المعلاة فزرنا، أمنا خديجة والفضيل بن عياض وسفيان ابن عيينة وغيرهم ودخلت الحرم فطفنا وشربنا من ماء زمزم وجلسنا خلف المقام حتى صلينا العصر وطفنا وشربنا من زمزم ثم

---

(1)– نفسه، ص: 29.

قال لي يا فلان ليس العجب من طي الأرض لنا وإنما العجب من كون لا أحدج من أهل مصر المجاورين عرفنا ثم قال لي: إن شئت تمضي معي وإن شئت تقيم هنا حتى يأتي الحج قال: فقلت أذهب مع سيدي فمشينا إلى باب المعلاة وقال لي أغمض عينيك فغمضتهما فهرول بي سبع خطوات ثم قال لي: افتح عينيك فإذا نحن بالقرب من الجيوشي فنزلنا إلى سيدي عمر بن الفارض، وذكر الشعراني عن الشيخ أمين الدين النجار إمام جامع الغمري أن الشيخ أخبره بدخول ابن عثمان مصر قبل أن يموت وأنه يدخلها في افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وأخبره أيضا بأمور أخرى فكان الأمر كما قال ومناقبه لا تحصى ولا تعد ولولا لم تكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهدا لمن يؤمن بالقدر، وله أشعار كثيرة جيدة ومتوسطة، وغالبة في الفوائد العلمية والأحكام الشرعية مما برع فيه وأجاد به[1]. وقد كان أولوا السياسة يعظمونه، وكان العلماء يعزونه، وكان الطلبة يجلونه، ثم كانت العامة تعتقده وتعده من الأولياء الصالحين وهو العلامة مجدد العصر والمبعوث على رأس القرن التاسع رحمه الله وأكرم مثواه[2].

ي- وفاته:

بعد أن ملأ إمامنا وشيخنا وقدوتنا جلال الدين عبد الرحمان السيوطي الدنيا علما وعملا وفضلا وشهرة وذكرا، توفي قدس الله روحه في يوم الجمعة وقيل في يوم الخميس إلا أن الذي عليه الأغلبية هو سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى في منزله بروضة المقياس سنة 911هـ، بعد أن مرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر يقال: إنه جلط أو انحدار ولعله ما نسميه اليوم بالذبحة الصدرية، وكان قد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما تقديرا، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة، بعد أن شُيعت جنازته والصلاة عليه بالروضة عقب صلاة الجمعة وكان له مشهد عظيم ورهيب، ولقد عمل له الأمير الكبير قرقماش صندوقا من خشب وسترا أسود مطرزا بالأبيض بآية الكرسي، ولم يتعرض ولاة مصر لشيء مما خلفه السيوطي بعد موته، ولم يأخذوا مما ترك شيئا، مع أن الزمن كان زمن

---

(1)– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، مطبعة دار المسيرة، بيروت، ط. II، 1399هـ/1979م، ج. 8، ص: 53-54.

(2)– مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 29.

جور، حيث قال السلطان الغوري: "لم يقبل الشيخ منا شيئا في حياته، فلا نتعرض لتركته". كما اهتمت والدته بقبره، وجعلته موضع عنايتها وبرها، وأقامت عليه بناء يحوطه ويصونه، ويكون عليه علامة وأمارة ثم ما لبث القبر أن صار مشهورا يقصد للتبرك به، أما صفة قبره رحمه الله فهو زاوية متوسطة بباب القرافة، يقع فيها بجوار حائط القبلة في مقصورة من خشب تحت قبة صغيرة وفوقه تابوت مغطى بستر أخضر مطرز بآيات كريمة وعلى باب الزاوية من الخارج لوح رخام نقش فيه هذا مسجد العارف بالله سيدي جلال الدين السيوطي، ومما ينبغي التنبيه عليه أن في مدينة أسيوط مسجدا يعرف بجامع سيدي جلال الدين السيوطي، وبه ضريح تزعم العامة جهلا أنه ضريحه، فهذا ضريح موهوم وليس القبر أو الضريح الحقيقي للمرحوم العلامة سيدي جلال الدين السيوطي وإنما مدفنه الحقيقي كما ذكرنا بحوش قوصون خارج القرافة كما تشير أغلب المصادر إلى ذلك. رحم الله فقيدنا إنا لله وإنا إليه راجعون[1][2][3].

III- مؤلفات الإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي:

لقد كانت الكتابة يسيرة غير عسيرة على الإمام جلال الدين السيوطي صاحب التصانيف والمؤلفات الحافلة الكثيرة الكاملة، الجامعة، النافعة، المتقنة، المحررة، المعتمدة، المعتبرة التي فاقت الخمسمائة مؤلفا، فكان يحرر في اليوم الواحد الكراريس ذوات العدد مع قيامه بالتدريس والإملاء، وقد حكى عنه تلميذه الداودي بعض ما رآه منه في ذلك فقال: "عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفا وتحريرا وكان مع ذلك يملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة". وكان قد أنهى تكملة تفسير الجلال المحلي في أربعين يوما ليس إلا، ولم يشتغل في كتاب اللباب في تحرير الأنساب إلا أياما عشرة، وفرغ من نظم ألفية المصطلح في خمسة أيام. ولقد أهل السيوطي ما ذُكر من حوله أن يكون طالبا محصلا، فعالما ثم محررا فمؤلفا موسوعيا كما أنه ظل طويلا على مشيخة البيبرسية متمتعا بوظيفتها الوافرة، يضاف إلى ذلك أن السيوطي عاش غضوبا عصاميا، تكفله الغضبة الواحدة رسالة أو أكثر يكتبها في يوم أو ليلة، ليرد بها، على من أغضبه أو خالفه أو سخر منه، فألف عددا كبيرا من المؤلفات القيمة

(1)– شذارت الذهب، مصدر سابق، ص: 55.

(2)– انظر معجم المؤلفين، لعمر رضا كحال، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج. 5، ص: 128.

(3)– انظر كذلك مكتبة الجلال السيوطي، ص: 5.

وهال المعاصرين والمتأخرين والمحدثين أن ينسب ذلك العدد الجم من الكتب إلى مؤلِّفٍ واحد فحسدوه واتهموه باختلاس الكتب وكثيرا من تصانيف ابن تيمية وابن حجر والسخاوي وغيره، من مجموعة عُثر عليها بمكتبة المدرسة المحمودية[1]، وأنه أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها من فنون فغير وقدم وأخر ونسبها لنفسه وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفي ببعضه ورموه بأنه أخذ العلم من الكتب أكثر مما أخذه عن الأشياخ واستقى من الدفاتر فوق ما سمعه من أفواه الرجال، حتى عده معاصره السخاوي من الصحفيين وتهجم عليه وعابه بسوء الفهم والتحريف فقال فيه "إن له مؤلفات كثيرة مع ما يقع له من التحريف فيها وما ينشأ من عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم ولا جلس بينهم في مسائلهم ولا تدريسهم، بل استبد بالأخذ من بطون الدفاتر والكتب" كما نفى كونه متبحرا في العلوم السبعة[2].

وخلاصة القول أنه مهما قيل في هذا الباب فإنه لا يعتبر أبدا خاصة تهمة الاختلاس لا يمكن أن تنصب على عالم فد ذو الوزن الثقيل كالسيوطي الذي جاب البلاد في البحث العلمي والتحصيل وطلب العلم وتلقيه من أفواه الرجال لتنتشر مؤلفاته في كل الأقطار ويداع صيته في كل أرجاء المعمور. ونظرا لكثرة مؤلفات العالم الجليل شيخ الأمة جلال الدين السيوطي فقد صنفت بعض مؤلفاته وإن كنت قد أغفلت العديد منها نظرا لكثرتها فهي تفوق خمسمائة مؤلفا في علوم مختلفة لذلك عددت في الأخير المواضيع التي كتب فيها شيخنا وعدد المؤلفات التي ألفها في كل موضوع، والآن سأقدم بعض مؤلفات العلامة عبد الرحمان السيوطي على سبيل المثال لا الحصر، التي كتبها في علوم كثيرة، ومختلفة والتي فاقت كما سبق ذكره الخمسمائة مؤلفا فضلا عما رجع عنه وغسله وهي كالآتي:

	الكتاب أو المؤلف	**نوع العلم الذي يحتوي عليه**	**مصير الكتاب أو المؤلف**

[1]- شذرات الذهب، مصدر سابق، ج. 8، ص: 53. وانظر المؤرخون في مصر في القرن 9هـ/15م، مرجع سابق، ص: 61-62 (بتصرف).

[2]- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، طبع بمطبعة مكتبة القدس، القاهرة، 1354هـ، ج. 4، ص: 66-68.

1	* الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء	الحديث	مطبوع
2	أبواب السعادة في أسباب الشهادة	الحديث وعلم الكلام	مخطوط، ومطبوع بالهند ومخطوط بالخزانة العامة بالرباط
3	إتحاف الفرقة برفو الخرقة	رسائل في الحديث	مطبوع ومخطوط بالخزانة التيمورية
4	إتحاف النبلا بأخبار الثقلا	رسائل في الحديث	مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر
5	الإتقان في علوم القرآن	مباحث قرآنية	مطبوع ومخطوط بالخزانة العامة بالرباط
6	إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة	رسائل	مخطوط بدار الكتب المصرية
7	الأجر الجزل في العزل	الحديث	مخطوط بالتيمورية وبالخزان العامة بالرباط
8	الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان	الحديث	مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
9	الأربعينيات السيوطية	الحديث	مطبوع عدة مرات
10	الأربعون في رفع اليدين في الدعاء	الحديث	مطبوع عدة مرات
11	الأربعون في فضل الجهاد	الحديث	مخطوط بالتميمورية
12	ازدهار الآكام في أخبار الأحكام[1]	الحديث	ضائع أو في حكم الضائع
13	الأزهار فيما عقده الشعراء من الأشعار	الشعر والأدب	مخطوط ببرلين
14	أسباب الكساء على النساء	الحديث	مخطوط بالخزانة التيمورية

[1]- عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، لجميل بك العظم، طبع بمطبعة الأهلية، بيروت، 1326هـ، ج. 1، ص: 195-196.

15	إسعاف المبطأ برجال الموطأ	الحديث	مطبوع
16	الأشباه والنظائر النحوية	النحو وفنون العربية	مطبوع بمصر
17	الأنوار السنية	الحديث	مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
18	الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة	الحديث	مطبوع بالهند
19	إزاحة العيب بسيف الغيب	الحديث	مطبوع بالهند وباكستان
20	البارق في قطع يد السارق	رسالة	ــــــــ
21	الباهر في حكم النبي ρ في الباطن والظاهر[1]	أوراق في الشريعة والأحكام	مخطوط ومطبوع بمصر
22	بدل الجهود لخزانة محمود	فتاوى	مخطوط بدار الكتب المصرية ومطبوع
23	البدور السافرة في أحوال الآخرة[2]	علوم جامعة	مخطوط بدار الكتب المصرية وأوقاف بغداد
24	بغية الوعات في طبقات اللغويين والنحاة	تراجم	مطبوع ومخطوط بدار الكتب المصرية
25	بدل الهمة في طلب براءة الذمة	فقه وحديث	مخطوط ومطبوع ضمن الحاوي
26	بلبل الروضة	مقامة	ــــــ
27	برد الظلال في تكرار السؤال	الحديث	مخطوط بالخزانة التيمورية
28	بشرى الكئيب في لقاء الحبيب	الحديث	طبع باليمنية ومخطوط بالتيمورية
29	بغية الرائد ذيل مجمع الزوائد	الحديث	لم يتم
30	بلوغ المأمول في خدمة الرسول	الحديث	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
31	بهجة الناظر وبلغة الخاطر	الشعر	مخطوط بدار الكتب المصرية

[1]- عقود الجواهر مرجع سابق، ج. 1 ص: 197.

[2]- مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 98-111.

32	تحفة الحبيب في شرح مغنى اللبيب	تراجم	ـــــــ
33	تحفة الغريب في الكلام على مغنى اللبيب	شروح	ـــــــ
34	تنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك	الحديث	ـــــــ
35	تأخير الظلامة إلى يوم القيامة	رسالة	مخطوط بالكتبخانه والخزانة العامة بالرباط
36	تاريخ الخلفاء	تراجم	مطبوع
37	التصريف على شرح التصريف	في الصرف	حاشية على شرح تصريف العزى لسعد التفتازاني
38	تخريج أحاديث العقائد النسفية	العقائد	مخطوط بدار الكتب المصرية
39	التبري من معرة المعري	أرجوزة	مخطوط بدار الكتب المصرية
40	التحبير في علوم التفسير	علوم القرآن	مخطوط بالتيمورية
41	ترجمان القرآن	علوم القرآن	ـــــــ
42	تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع[1]	في الفروع	ـــــــ
43	تكملة تفسير الجلال المحلي[2]	تفسير	مطبوع ومخطوط بالمكتبات الشرقية
44	تناسق الدرر في تناسب السور	علوم القرآن	مخطوط بالتيمورية
45	الثبوت في ضبط ألفاظ القنوت	فتاوى	مخطوط بدار الكتب المصرية
46	الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة	مناقب	مخطوط بخزانة كتبخانه
47	ثلج الفؤاد في أحاديث لبس	الحديث	طبع بالهند وضمن الحاوي

(1)- عقود الجواهر، مرجع سابق، ص: 199-200.

(2)- مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 112.

	السواد		للفتاوي
48	ثلج الفؤاد في العزية	رسالة	ــــــــ
49	الجامع الصغير من حديث البشير النذير	الحديث	مخطوط بعدة خزانات عامة وخاصة طبع ببولاق والميمنية
50	جامع الفرائض	الفرائض	ــــــــ
51	الجامع الكبير	الحديث	مخطوط بمكتبة مسجد القرويين والخزانة العامة بالرباط وطبع بالقاهرة.
52	جامع المساند	ــــ	ــــــــ
53	جزء في الحديث	الحديث	ــــــــ
54	جزء من حفظ على أمتي أربعين حديثا	الحديث	مخطوط بدار الكتب المصرية
55	جمع الجوامع في العربية	علوم عربية	مطبوع في مصر ومخطوط بالكتبخانه
56	جهد القريحة في تجريد النصيحة[1]	تلخيص لكتاب ابن تيمية في المنطق والكلام	مخطوط بمكتبة الأزهر وطبع بمصر
57	الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر	رسالة في الفقه	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
58	جياد المسلسلات[2]	الحديث	مخطوط بدار الكتب المصرية
59	حاشية على القطعة للأسنوي	في الفقه عامة	ــــــــ
60	حاطب ليل وجارف سيل	معجم شيوخه الكبير	ــــــــ
61	الحاوي للفتاوي	فتاوى و رسائل	مخطوط بالظاهرية ودار الكتب المصرية
62	الحبل الوثيق في نصرة	رسائل	طبع ضمن الحاوي للفتاوي

(1)– مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 171–183.

(2)– عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 201–202.

	الصديق		
63	حسن التلخيص لتالي التلخيص	الحديث	ـــــــ
64	حسن التسليك في حكم التشبيك	رسالة في الفتاوي	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
65	حسن المقصد في عمل المولد	رسالة في النبويات	مطبوع بدار الكتب العلمية بمصر
66	حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة	تراجم وتاريخ	مخطوط ببرلين ودار الكتب المصرية ومطبوع بمصر طبع حجر
67	حصول الرقة بوصول الرزق	رسالة في الحديث	مخطوط بالتيمورية وطبع بالهند
68	خادم النعل الشريف	رسالة في الحديث	ـــــــ
69	الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال	رسالة في الحديث	مخطوط بالتيمورية، طبع ضمن الحاوي
70	الخلاصة	منظومة في المواضيع التي يستحب فيها الوضوء	
71	در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة[1]	التاريخ	طبع بمصر
72	درر البحار في الأحاديث القصار	الحديث	ـــــــ
73	درة التاج في إعراب مشكل المنهاج	في إعراب مشكلات منهاج النووي	مخطوط بدار الكتب المصرية وبالكلية الظاهرية بدمشق
74	الدرة الفاخرة	المنطق والكلام	مخطوط بالخزانة التيمورية
75	الدرر في فضل عمر[2]	الحديث	مخطوط بالخزانة التيمورية
76	الدر المنثور في التفسير بالمأثور	علوم القرآن (التفسير)	طبع بالميمنية.

[1]- مكتبة السيوطي، مرجع سابق، ص: 184-205.

[2]- عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 203-204. انظر معجم المؤلفين، مرجع سابق، ص: 128.

77	الدر النثير في قراءة ابن كثير	القراءات	ــــــــ
78	درر الكلام وغرر الحكم	ــــــ	ــــــــ
79	الدر المنظم في الاسم الأعظم	الحديث	طبع ضمن الحاوي للفتاوي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
80	دفع التعسف عن إخوة يوسف	الفتاوى	مخطوط بدار الكتب المصرية، طبع بالهند، طبع ضمن الحاوي
81	ديوان الحيوان	في اللغة	مخطوط بدار الكتب المصرية وبالمكتبة الوطنية بباريس
82	ذم زيارة الأمراء	ــــــ	ــــــــ
83	ذم زيارة القبور	ــــــ	ــــــــ
84	ذم القضاء	ــــــ	ــــــــ
85	ذم المكس	الحديث	مخطوط بالتيمورية
86	ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي	تراجم	مخطوط بالتيمورية بدمشق
87	الذيل على المغنى في الضعفاء	ــــــ	ــــــــ
88	الذيل الممهد على القول المسدد	ــــــ	ــــــــ
89	الرتب المنفية في فضل السلطنة الشريفة	الحديث	مخطوط بدار الكتب المصرية
90	الرحلة المكية	الرحلات	ــــــــ
91	الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل زمن فرض	الأصول	مخطوط بالتيمورية، طبع بالجزائر
92	رسالة إلى ملك التكرور	رسائل	مخطوط بدار الكتب المصرية
93	الرسالة السلطانية	رسائل	مخطوط بالتيمورية ودار الكتب المصرية
94	رسالة في اختلاف الأئمة	رسائل	مخطوط بدار الكتب المصرية
95	رسالة في أسماء المدلسين	رسائل	مخطوط بمكتبة الكتبخانه الخديوية وبالخزانة العامة بالرباط
96	رسالة في أغلاط العوام	رسائل	مخطوط بمكتبة طلعت

97	رفع السنة في نصب الزنة	رسائل	طبعت ضمن الحاوي
98	الروض الأريض في طهر المحيض	مناقب	مخطوط بالخزانة التيمورية
99	الروض في أحاديث الحوض	الحديث	————
100	رياض الطالبين	فقه وأصول	مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
101	ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين	تاريخ	مخطوط بالأسكوريال وبالخزانة العامة بالرباط ومطبوع
102	زاد المسير في الفهرسة الصغير	فهارس	مخطوط بدار الكتب المصرية
103	زبدة الليف[1]	النوادر	————
104	الزِّبرْجد	تاريخ	————
105	زهر الربى على المجتبى	الحديث	طبع بالميمنية وبالمطبعة المصرية
106	زوائد نوادر الأصول	الأصول	————
107	زيادة الجامع الصغير من حديث البشير النذير[2]	الحديث	مخطوط بمكتبة الزاوية الحمزية بالمغرب مطبوع بمطبعة الحلبي
108	سائق الأظعان	———	————
109	السلسلة	النحو	————
110	سهام الإصابة في الدعوات المستجابة	الحديث	مخطوط بدار الكتب المصرية
111	السيف الصقلي في حواشي ابن عقيل	النحو والصرف	————
112	شد الرحال في ضبط الرجال	الحديث	————
113	شد المطية للفصل بين عيان وعطية	مقامة	————
114	شرح شواهد المغنى	منظومة مشروحة	مخطوط بدار الكتب المصرية، طبع بمصر

[1]– مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 206-239.

[2]– عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 205-206.

115	شرح كافية ابن مالك	النحو	ـــــــــ
116	شرح الشاطبية	القراءات	مخطوط بالظاهرية ومطبوع
117	الشماريخ في علم التاريخ	التاريخ	مخطوط بدار الكتب المصرية وترجم إلى الألمانية
118	الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب	رسائل	طبع بدمشق
119	الصواعق على النواعق	الأصول	مخطوط بدار الكتب المصرية
120	صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام[1]	المنطق وعلم الكلام	مخطوط بالأزهر، مطبوع بمصر
121	ضوء البدر في إحياء ليلة عرفة والعيدين ونصف شعبان وليلة القدر	رسائل	مخطوط بدار الكتب المصرية
122	ضوء الثريا	رسائل	ـــــــــ
123	ضوء الصباح في لغات النكاح	ـــــ	ـــــــــ
124	الطب النبوي[2]	الطب	ـــــــــ
125	طبقات الأصوليين	الطبقات	ـــــــــ
126	طبقات المفسرين	تراجم الطبقات	مخطوط بجامع الكتب
127	طرح السقط ونظم اللقط	في الخصائص النبوية	ـــــــــ
128	طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والمقامة	ـــــ	ـــــــــ
129	طوق الحمامة	ـــــ	مخطوط مطبوع طبع ضمن الحاوي
130	الظفر في قلم الظفر	رسالة	مخطوط بدار الكتب المصرية وبالتيمورية
131	العجائب في تفضيل المشارق على المغارب	ـــــ	ـــــــــ

[1]- مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 240-253.

[2]- عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 207-208.

132	العجالة الحسنى في شرح الأسماء الحسنى	ـــــــ	ـــــــ
133	العزف الوردي في أخبار المهدي	الحديث	مطبوع ضمن الحاوي ومخطوط بدار الكتب المصرية
134	العشاريات	الحديث	مخطوط بدار الكتب المصرية
135	عين الإصابة في معرفة الصحابة	التاريخ	لم يتم
136	عقود الجمان في المعاني والبيان	منظومة	مطبوع
137	عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد[1]	إعراب المسند	مخطوط بدار الكتب المصرية
138	عمل اليوم والليلة	ـــــــ	ـــــــ
139	غرس الإنشاب في الرمي بالمنشاب	الحديث	ـــــــ
140	غلطات العوام	رسالة	ـــــــ
141	الغنية[2]	مختصر الروضة	ـــــــ
142	الفارق بين المصنف والسابق	مقامات	ـــــــ
143	الفاشوش في إحكام قراقوش	تراجم الأفراد	مخطوط بالكتبخانه
144	الفانيد في حلاوة الأسانيد	الحديث	مخطوط بالتيمورية
145	فتاوي السيوطي	مجاميع الفتاوى	مخطوط بالظاهرية بدمشق
146	الفتاوى القرآنية	فتاوى	ـــــــ
147	الفتاوى النحوية	فتاوى	ـــــــ
148	الفريدة	تلخيص ألفية ابن مالك في النحو والصرف	طبع على الحجر بفاس
149	فضائل الشام	ـــــــ	مخطوط بالولايات المتحدة الأمريكية
150	الفلك المشحون	موسوعات في	مطبوع

(1)– مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 256–273.

(2)– عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 209–210.

		العربية	
151	فهرست مؤلفته	فهارس	مخطوط بدار الكتب المصرية
152	الفيض الجاري في طرق الحديث العشاري	رسالة في الحديث	مخطوط بدار الكتب المصرية
153	قدح الزند في السلم في الفن	رسالة	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
154	قطف الأزهار	علوم القرآن	ــــــــــ
155	قلائد الفوائد	منظومة	ــــــــــ
156	القول الجلي في حديث الولي	رسالة في الحديث	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
157	القول الحلي في فضل علي	مناقب	مخطوط بالتيمورية
158	القول الحسن في الذب على السنن	الحديث	ــــــــــ
159	القول المختار في الدعوات والأذكار	دعاء وذكر	ــــــــــ
160	القول المضي في الحنث في المضي[1]	رسائل	طبعت ضمن الحاوي للفتاوي
161	الكافي في زوائد المهن على الوافي	ــــ	ــــــــــ
162	كتاب البعث	رسائل	طبع ضمن الحاوي، مخطوط بدار الكتب المصرية
163	كشف الريب عن الجيب	رسائل	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
164	كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة	علوم	مخطوط بالتيمورية، مطبوع بالمغرب
165	كشف العمى في فضل الحمى	ــــ	ــــــــــ
166	الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع	أرجوزة في أصول الفقه	طبع بالبسفور
167	لباب النقول في أسباب النزول[2]	علوم القرآن	طبع على هامش الجلالين بالأزهر
168	لب اللباب في تحرير الأنساب	تراجم ومعاجم	مخطوط بالهند

(1)– مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 276–304.

(2)– عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 211–213.

169	اللمع في أنساب من وضع	الحديث	———
170	لم الأطراف وضم الأتراف	الحديث	———
171	لقط المرجان في أخبار الجان	روحانيات	مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
172	اللوامع والبوارق في الجوامع والفوارق	الأصول	———
173	ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين	———	مخطوط بالتيمورية
174	ما رواه السادة في الاتكاء على الوسادة	———	مخطوط بالتيمورية
175	الماهد لمسائل الزاهد	شروح	———
176	مباسم الملاح و مناسم الصباح في مواسم النكاح	الحديث واللغة والطب	———
177	مجرد الموطأ	الحديث	———
178	مختصر الخادم	———	———
179	المزهر	علوم اللغة وأنواعها	طبع بالقاهرة
180	معترك الأقران في مشترك القرآن	علوم القرآن	نشر بدار الفكر العربي
181	مفحمات الأقران في مبهمات القرآن	علوم القرآن	طبع ببولاق
182	المقامة السيوطية	مقامات	طبع غير كامل بالهند وتركيا
183	المقامات الفستقية	الطب	———
184	المقامة الأزوردية	مقامة	مخطوط بمكتبة الحرم الشريف
185	المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب	علوم القرآن	طبع بالهند، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
186	الموشحة في النحو[1]	النحو	مخطوط بالكتبخانه
187	ناسخ القرآن ومنسوخه	علوم القرآن	———
188	نتيجة الفكر في الجهر بالذكر	رسالة في	مخطوط بدار الكتاب المصرية،

[1]- مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 305-378.

		الفتاوى	طبع ضمن الحاوي
189	النجوم الدراري في أبناء السراري	تراجم في السلالات والأجناس	مخطوط بدار الكتب المصرية وبرلين
190	نزهة النديم	نوادر	————
191	نشر الطيب على الخطيب	الإعراب	مخطوط بالتيمورية
192	نظام البلور في أسامي السنور	في أسماء الحيوان	————
193	نظم البديع في مدح خير شفيع	قصيدة في المدح	مطبوعة بمصر
194	نظم العقيان في أعيان الأعيان(1)	تراجم	مخطوط بلندن، طبع بسوريا
195	النقاية	المجاميع	مخطوط بالمكتبة العباسية
196	النكت على التلخيص	——	————
197	نواهد الأبكار وشواهد الأفكار	حاشية على تفسير البيضاوي	مخطوط بالظاهرية
198	نور الحديقة	أشعار ونثر	————
199	هدم الجاني على الباني	رسالة	طبع ضمن الحاوي للفتاوي
200	همع الهوامع في شرح الجوامع	النحو	طبع بالجمالية
201	الواضح في تعليم الرمي	——	————
202	الوافي(2)	شروح لكتابه التنبيه للشيرازي	————
203	الوجيز في طبقات الشافعية	الطبقات	————
204	ورقات الوفيات(3)	التاريخ	————
205	الوسائل إلى معرفة الأوائل	التاريخ	نشر بالعراق مخطوط بدار الكتب

(1)– عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 214–215.

(2)– حسن المقصد في عمل المولد، لعبد الرحمان السيوطي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، ط. I، 1405هـ/1985م، ص: 29–34.

(3)– فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد الحسني الإدريسي الكتاني الفاسي، طبع المطبعة الجديدة، فاس، 1348هـ، ج. II، ص: 352–361.

			المصرية
206	وقع الأسل في ضرب المثل[1]	النوادر	————
207	وهج الجمر في تحريم الخمر	———	مخطوط بالخزانة العامة بالرباط
208	اليد البسطى في تعين الصلاة الوسطى[2]	———	مخطوط بالخزانة التيمورية
209	الينبوع فيما زاد على الروضة في الفروع	حاشية على كتاب الروضة في الفقه الشافعي	مطبوع
210	اليواقيت الثمينة في الصفات السمينة	———	————
211	اليواقيت في خروق الآذان في توجيه قولهم: "لا ها الله أذن"[3]	———	————

(1)– مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 379–384.

(2)– عقود الجواهر، مرجع سابق، ج. 1، ص: 216.

(3)– هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع بمطبعة البهية، إسطنبول، 1951م، ج. I، ص: 534–543.

	الموضوع الذي كتب فيه السيوطي	عدد المؤلفات التي كتبها في كل علم
1	في القرآن وعلومه	36 كتابا
2	في الحديث وعلومه	150 كتابا
3	في الفقه وما يتصل به	110 كتابا
4	في النبويات	25 كتابا
5	في الروحانيات	03 كتب
6	في أسماء الله والبسملة والاستعاذة	08 كتب
7	في الصلاة على النبي ρ	03 كتب
8	في الدعوات والأذكار	16 كتابا
9	في الوعظ والإرشاد	19 كتابا
10	في الأخرويات	19 كتابا
11	في الأصول والخلاف	12 كتابا
12	في الاعتقاد والآراء	11 كتابا
13	في المنطق وعلم الكلام	6 كتب
14	في علوم العربية	110 كتابا
15	في التاريخ وما ينضاف إليه	104 كتابا
16	الموسوعات والمجاميع والفهارس	12 كتابا
17	في علم الجنس	09 كتب
18	في مواضيع مستطرفة	16 كتابا
19	التفاريق	36 كتابا
20	كتب مجهولة الفحوى[1]	20 كتابا

[1]– كتاب مكتبة الجلال السيوطي، مرجع سابق، ص: 385.

خاتمة:

صفوة القول إن الجلال السيوطي نشأ في بيئة شاع فيها العلم من جهة وعدم الاستقرار السياسي من جهة أخرى إلا أن هذا الأخير لم يؤثر على عطاءاته وفكره بل كان حافزا ملائما للعلماء في تلك الفترة بحيث استفادوا من كل الكتب والمصنفات والخزانات التي استقطبتها القاهرة نتيجة سقوط الخلافة العباسية في بغداد وهجرة معظم المكتبات والعلماء للاستقرار بالقاهرة وكذا سقوط الأندلس، مما جعل الإمام جلال الدين السيوطي يتبحر في علوم شتى التي كتب فيها العديد من المؤلفات وخاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، فما هي المجهودات التي بذلها العلامة جلال الدين السيوطي في هذا المجال وما هو مفهومه للإعجاز القرآني ووجوهه؟ هذا ما سنفصل فيه القول ولو بشكل مختصر في الفصل الثالث بإذن الله.

الفصل الثالث:
الإعجاز القرآني عند
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الفصل الثالث: الإعجاز القرآني عند جلال الدين عبد الرحمان السيوطي.

مقدمة.

I- مفهوم الإعجاز ووجوهه عند الإمام جلال الدين السيوطي.

1- مفهوم الإعجاز عند الجلال السيوطي.

2- وجوه الإعجاز عند العلامة جلال الدين السيوطي من خلال كتابيه: (الإتقان في علوم القرآن)، (معترك الأقران في إعجاز القرآن).

أ- وجوه الإعجاز من خلال كتابه: "الإتقان في علوم القرآن".

- تشبيه القرآن واستعارته.
- الحقيقة والمجاز.
- الكناية والتعريض.
- الإيجاز والإطناب.
- الخبر والإنشاء.

ب- وجوه الإعجاز من خلال كتاب: "معترك الأقران في إعجاز القرآن".

خاتمة.

الفصل الثالث: الإعجاز القرآني عند جلال الدين عبد الرحمان السيوطي:

µ:

وجه السيوطي اهتمامه إلى دراسة القرآن الكريم لاستخلاص وجوه الإعجاز منه وقد درس الإعجاز القرآني في كتابيه: الإتقان في علوم القرآن، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، وأهم ما يميز الإمام جلال الدين السيوطي في دراسته القرآنية هو منهج التبويب المنظم، والتحليل الدقيق يتضح ذلك من خلال عرضه لآراء العلماء في عصره، لذلك نراه في كتابيه يصهر جميع المباحث القرآنية البلاغية والعلمية التي التقطها من عدد لا يستهان به من المصنفات السابقة وهو يشير إليها بأمانة وإخلاص، وقد مكنه هذا المنهج العقلي الدقيق في دراساته لبيان القرآن من الخروج بنتائج طريفة وهامة حيث اعتمد على الأسلوب والمعاني العامة التي تصورها الألفاظ والعبارات فيعرض حشدا هاما من الشواهد التي تضمنتها مباحث العلماء السابقين، وأبرز ما ينفرد به الإمام السيوطي في كتابيه دقة فهمه للنصوص، وقوة تمكنه من عرض الآراء مع قوة شخصيته وتملكه لزمام المناقشة من حيث الابتداء والانتهاء.

I- مفهوم الإعجاز ووجوهه عند الإمام جلال الدين السيوطي:

1- مفهوم الإعجاز عند الجلال السيوطي:

لقد ضمن السيوطي كتابه الإتقان في علوم القرآن حيزا تحدث عن إعجاز القرآن إلا أنه لم يقدم تعريفا معينا للإعجاز وإنما تعرض فيه للمعجزة باعتبارها دليلا قائما مقام الإعجاز القرآني فقسمها إلى حسية وعقلية بعد أن وضح في تعريف بسيط أنها: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة، وبَيَّن أن معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات قال: فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه، وقيل: المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، وأن إعجاز القرآن يتضح بتحديه للعرب الذين كانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء، ومع ذلك لم يقدروا على مجاراته أو

الإتيان ولو بسورة تشبهه. وبذلك ثبت أن القرآن معجزة نبينا ρ[1]. هكذا عرف الجلال السيوطي الإعجاز والمعجزة، وبين أن كون القرآن معجزا يعلم بالاستدلال.

2- وجوه الإعجاز عند العلامة جلال الدين السيوطي من خلال كتابيه:

ـ الإتقان في علوم القرآن ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ

صنف الإمام السيوطي كتابيه "الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن" دفاعا عن القرآن الكريم وإبرازا لوجوه الإعجاز التي يمكن أن تعد سبيلا ودليلا على الإعجاز القرآني.

أ- وجوه الإعجاز من خلال كتابه: "الإتقان في علوم القرآن":

بعد أن عدد وجوه الإعجاز التي ذكرها العلماء في مصنفاتهم ورسائلهم وكتبهم، لم يحصر جلال الدين السيوطي وجوه الإعجاز في وجوه معينة كونه يعتقد أنها لا حصر لها، إلا أنه يتضح لنا أنه يحصرها في جهات هي:

- عجز العرب عن الإتيان بمثله رغم تحديه لهم مرارا.
- التحدي للكافة.
- إخباره بالمغيبات والأمور المستقبلية.
- احتواؤه على كل العلوم.
- خرقه العادة في أسلوبه وبلاغته.

ولما كان السيوطي أحد المتذوقين للأسلوب البلاغي في القرآن فقد اختص الأسلوب وحده من هذه الوجوه بالقدر الأكبر من الاهتمام، فدرس تشبيه القرآن واستعارته، وكنايته وتعريضه، وحقيقته ومجازه، وحصره واختصاصه، وإيجازه وإطنابه، وخبره وإنشائه، وجدله وأمثاله وأقسامه. فلا يكاد يفوته فن من فنون القرآن الأدبية ولا يكاد ينسى جملة مستجدة لأحد المفسرين يبرز بها موطنا من مواطن الجمال القرآني إلا ذكرها. وسنتطرق إلى بعض الأقسام

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمان السيوطي، طبع مطبعة حجازي، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1360هـ/1941م، ج. II، ص: 116.

الخاصة بالمعاني والصور البيانية التي درسها السيوطي وإن كانت مجرد نماذج من كتابه الضخم هذا[(1)].

- تشبيه القرآن واستعارته:

يذكر السيوطي في هذا الباب تعريفات العلماء للتشبيه ثم يعرفه وأدواته وأقسامه باعتبار طرفيه وباعتبار وجهه، فإذا قسمه باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب قال: والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض، كقوله تعالى: "**كمثل الحمار يحمل أسفارا**"[(2)]، فالتشبيه مركب من أحوال الحمار، وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه، وقوله تعالى: "**إنما الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازَّيّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**"[(3)]. فإن فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها حيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه، إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها، وانقراض نعيمها واغترار الناس بها، بحال ماء نزل من السماء، وأنبت أنواع العشب، وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس"[(4)].

---

(1)- الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج. II، ص: 117-118.

(2)- سورة الجمعة، الآية: 5.

(3)- سورة يونس، الآية: 24.

(4)- الإتقان، ج. 2، ص: 42، وينظر كذلك (تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، مطبعة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م، ص: 81-82.

- **الاستعارة:**

يذكر السيوطي بعد التشبيه وفي الباب نفسه ما يتعلق بالاستعارة التي يعرفها بقوله: "الاستعارة هي مجاز علاقته المشابهة أو يقال في تعريفها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي والأصح أنها مجاز لغوي لأنها موضوعة للمشبه به لا للمشبه".

وباعتبار أركانها يقول: أركان الاستعارة ثلاثة:

1- مستعار وهو اللفظ المشبه به.

2- مستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه.

3- مستعار له وهو المعنى الجامع.

وبناء على هذه الأركان يقسمها إلى خمسة أقسام:

1- استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس.

2- استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي.

3- استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي.

4- استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي.

5- استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي.

ويستشهد بوفرة من الأمثلة على كل قسم منها فإذا مر بقوله تعالى: "**والصبح إذا تنفس**"[(1)]، جعل ذلك من باب استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس وأوضح ذلك بقوله: "استعير خروج النفس شيئا فشيئا بخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا، بجامع التتابع على طريق التدريج، وكل ذلك محسوس.

وإذا تلا قوله تعالى: "**بل نقذف بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق**"[(2)]، لم يرى في ذلك إلا ضربا من استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي، فالقذف والدمغ، مستعاران وهما محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان والدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال، وعلى طريق الغلبة والاستعلاء، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه. وإذا قرأ السيوطي قوله تعالى في وصف جهنم: "**إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور، تكاد تميز**

---

(1)- سورة التكوير، الآية: 18.

(2)- سورة الأنبياء، الآية: 18.

من الغيظ"[1]، لم يجد في هذا المشهد المروع إلا استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي، مع أن تشخيص جهنم في هذه الآية هو الذي يجعل المشهد حافلا بالحياة والحركة، فهي مغيظة محنقة تحاول أن تكظم غيظها حتى ألقي إليها المجرمون، ولكأن منظرهم البشع كان أشد من أن تتحمله وتصبر عليه، فتتلقفهم بألسنة لهبها وهي تئز وتشهق، بقطرانها وهي تغلي وتفور، حتى كاد صدرها ينفجر حقدا عليهم، ومقتا لوجوههم السود، فليس في الصورة استعارة معقول لمحسوس فقط، وإنما استعيرت لجهنم شخصية آدمية، لها انفعالات وجدانية، وخلجات عاطفية، فهي تشهق شهيق الباكين، وهي تغضب وتثور، وهي ذات نفس حادة الشعور. وقيل أن الله سبحانه وصف النار بصفة المغيظ الغضبان، الذي من شأنه أن يبالغ في الانتقام، ويتجاوز الغايات في الإيقاع والإيلام[2]. هذه بعض الشواهد التي ذكرها السيوطي في هذا الباب وهناك أمثلة أخرى كلها في غاية التحليل والاستدلال.

- **الحقيقة والمجاز:**

يقول السيوطي في هذا الصدد: "لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن وهي: "كل لفظ بقي على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير وهذا أكثر الكلام".

أما المجاز: "فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وأحمد والطبري أبو العباس ابن القاص من الشافعية، وابن خويزمنداد من المالكية وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليها إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى، وهذه شبهة باطلة. ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق العلماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز، وجب خلوه من الحذف والتوكيد، وتثنية القصص وغيرها". بعد ذلك قسم المجاز إلى قسمين:

- المجاز في التركيب ويسمى بمجاز الإسناد.

- المجاز العقلي وعلاقته الملابسة، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له كقوله تعالى: "**وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**" الآية، نسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا لها وهذا القسم أربعة أنواع:

---

(1)- سورة الملك، الآية: 7-8.

(2)- الإتقان، ج. 2، ص: 44-45، (ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، مصدر سابق، ص: 162-297. ومباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، مرجع سابق، ص: 324-325).

الأول: ما طرفاه حقيقيان كقوله تعالى: "**وأخرجت الأرض أثقالها**"[(1)].

الثاني: ما طرفاه مجازيان نحو: "**فما ربحت تجارتهم**"[(2)]، أي ما ربحوا فيها وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز.

الثالث والرابع: ما طرفيه حقيقي دون الآخر كقوله تعالى: "**فأمه هاوية**"[(3)]، فاسم الأم الهاوية مجاز: أي الأم كافلة لولدها وملجأ له كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع.

القسم الثاني: المجاز في المفرد: ويسمى المجاز اللغوي وهو: استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولا وأنواعه كثيرة منها:

الحذف – الزيادة – إطلاق الكل على الجزء، إطلاق الجزء على الكل، إطلاق الخاص على العام، إطلاق العام على الخاص، إطلاق اسم الملزوم على اللازم، إطلاق اللازم على الملزوم، وغيرها من الأنواع التي ذكرها السيوطي وعلق عليها بتفصيل تام[(4)].

– **الحقيقة:**

أجمل السيوطي الحديث عنها بقوله: "أما فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز فهو الموضوعات الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة وفي الواسطية بين الحقيقة والمجاز قيل بها في ثلاثة أشياء:

– اللفظ قبل الاستعمال وهذا القسم مفقود في القرآن ويمكن أن يكون في أوائل السور على القول للإشارة للحروف التي يتركب منها الكلام.

– الإعلام.

– اللفظ المستعمل في المشاكلة نحو قوله تعالى: "**ومكروا ومكر الله**"[(5)].

وختاما أشار إلى أن المجاز هو أن يجعل المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر، فيجوز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما كقوله تعالى: "**ولكن لا تواعدهن سرا**"[(6)][(7)] الآية.

[(1)]– سورة الزلزلة، الآية: 2.

[(2)]– سورة البقرة، الآية: 15.

[(3)]– سورة القارعة، الآية: 8.

[(4)]– الإتقان، مصدر سابق، ج. 2، ص: 36–38.

[(5)]– سورة آل عمران، الآية: 53.

[(6)]– سورة البقرة، الآية: 233.

[(7)]–الإتقان، مصدر سابق، ج. 2، ص: 46.

- **الكناية والتعريض:**

قال السيوطي: "هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة والكناية أبلغ من التصريح وعرفها أهل البيان بأنها: لفظ أريد به لازم معناه. وقيل ترك التصريح بالشيء، إلى ما يساويه في الملزم فينتقل منه إلى الملزوم.

وللكناية أساليب منها:

- التنبيه على عظم القدر نحو: "**هو الذي خلقكم من نفس واحدة**"[1].

- ترك اللفظ إلى ما هو أجمل نحو: "**إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة**"[2].

- أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة.

- قصد البلاغة والمبالغة نحو: "بل يداه مبسوطتان" كناية على سعت جوده.

ومن أنواع البديع التي تشبه الكناية:

- الإرداف: وهو أن يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بدلالة الإشارة بل بلفظ يرادفه كقوله تعالى: "**وقضي الأمر**"[3]، والأصل وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته وعدل عن ذلك إلى لفظ الإرداف لما فيه من الإيجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر مطاع وقضاء من لا يرى قضاؤه. والفرق بين الكناية والإرداف: أن الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم والإرداف من مذكور إلى متروك وأمثلته: "**ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**" الآية، عدل في الجملة الأولى من قوله بالسوء أي مع أن فيه مطابقة كالجملة الثانية إلى ما "**بما عملوا**" تأدبا أن يضاف السوء إلى الله تعالى.

- وفي الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة فالكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن يذكر شيئا يدل به على شيء لم يذكره. كقول من يتوقع صلة "والله إني محتاج" فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضح له حقيقة ولا مجازا، وإنما فهم من عرض اللفظ أي جانبه. وقد قدم جلال الدين السيوطي تفصيلا هاما جمع فيه كل ما يتعلق بما سبق

---

(1)- سورة النساء، الآية: 1.

(2)- سورة ص، الآية: 22.

(3)- سورة البقرة، الآية: 208.

فقال: "التشبيه من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها، واتفق البلغاء على أن الاستعارة أبلغ منه، لأنها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ فإذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة، وكذا الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة، ولأنها مجاز قطعا وفي الكناية خلاف، وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية، ويليها المكنية لاشتمالها على المجاز العقلي، والترشيحية أبلغ من المجردة، والمطلقة والتخيلية أبلغ من الحقيقية، والمراد بالأبلغية إفادة زيادة التأكيد المبالغة في كمال التشبيه لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك[1].

- الإيجاز والإطناب:

هما من أعظم أنواع البلاغة، وقال بعض البلاغيين: إن البلاغة هي الإيجاز والإطناب، وهما الإجمال والتوجيز والتفصيل في الكلام.

والإيجاز والاختصار بمعنى واحد، والإطناب بمعنى الإسهاب والتطويل لفائدة، والإيجاز ينقسم إلى قسمين:

إيجاز قصر: هو الوجيز بلفظه وهو كذلك الكلام القليل، وهو تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وقيل: أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة، وقد تحدث إمامنا الجليل الجلال السيوطي عن الإيجاز بإسهاب مفيد ومفيض.

أما إيجاز الحذف ففيه فوائد: هي الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر وغيرها كما عدد أنواعه واستشهد بوافر من الأمثلة.

الإطناب: وينقسم بدوره إلى بسط وزيادة، فالأول الإطناب بتكثير الجمل كقوله تعالى في خلق السموات والأرض الآية في سورة البقرة، أطنب فيها أبلغ إطناب، لكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين للعالم والجاهل فيهم، والموافق والمنافق، وكذلك الإطناب للتأكيد أو لاستدراك أو لغير ذلك[2].

- الخبر والإنشاء:

قال السيوطي في هذا الباب: "اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما، والقصد بالخبر إفادة المخاطب وقد يرد بمعنى الأمر أو الدعاء أو النهي

---

(1)- الإتقان، مصدر سابق، ج. 2، ص: 47-48.

(2)- نفسه، ص: 41-43.

أما الإنشاء فأقسامه: الاستفهام والتوبيخ والنهي والتمني والترجي والنداء والقسم[1] وغيرها من الأقسام التي ذكرها السيوطي في كتابه ناهيك عن العلوم العديدة المتعلقة بالقرآن الكريم التي أجملها في مباحثه ووضحها بشكل بالغ الدقة والتحليل.

هكذا صنف الإمام جلال الدين كتابه :"الإتقان في علوم القرآن"، الذي حوى من علوم القرآن جملة فنون ونهج منهجا لم يتيسر لأحد أن يشق غبار علمه المكنون، وجمع فيه من أنواع علوم القرآن ثمانين كل نوع ضمنه ما في جملة مؤلفات المتقدمين فجاء بحرا زاخر الموارد ينهل من عذبه كل وارد، رحم الله الإمام جلال الدين السيوطي وأثابه في دار رضاه.

ب- وجوه الإعجاز من خلال كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن:

رغم اقتناع الإمام جلال الدين السيوطي بمبدأ الإطلاق لوجوه الإعجاز وإن أقر بأنه لا نهاية لوجوه إعجاز القرآن بقوله: "وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده"[2]، إلا أنه أفرد مؤلفا قيما هو "معترك الأقران في إعجاز القرآن" حاول فيه كعادته في كل مؤلف له، أن يجمع كل ما قيل حول الإعجاز القرآني، ويبسط الحديث على كل وجه من وجوهه، ذاكرا المؤلفين ومؤلفاتهم فيه، حتى بلغت الوجوه التي عدها خمسة وثلاثين وجها، جعلها كالأمهات لكل ما تعلق بها، وكلها تقع في القسم الأول من مؤلفه وفيما يلي بيانها[3] مع تعليقات السيوطي عليها:

- **الوجه الأول:** العلوم المستنبطة منه:

كيف لا وقد احتوى على علوم ومعارف لا يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة. قال تعالى: "**ما فرطنا في الكتاب من شيء**"[4]. وقال ρ: "ستكون فتن، قيل وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم".

---

[1]- الإتقان، مصدر سابق، ج. 2، ص: 75.

[2]- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمان السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج. 1، ص: 35.

[3]- مفهوم الإعجاز القرآني، مرجع سابق، ص: 327-328.

[4]- سورة الأنعام، من الآية: 39.

- **الوجه الثاني:** كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان: بخلاف سائر الكتب. قال تعالى: "**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**"[1]. فلم يقدر أحد بحمد الله على التجاسُر عليه.

- **الوجه الثالث:** حسن تأليفه والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن:

فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له[2].

- **الوجه الرابع:** مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني، منظمة المباني:

والمناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، وقد جمع هذا الوجه تعريفات العلماء للمناسبة وأجملها بتعريف شامل فقال: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقارنة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه.

- **الوجه الخامس:** افتتاح السور وخواتمها:

وهو من أحسن البلاغة عند البيانيين: وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا قبِل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان في نهاية الحسن؛ فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه وأجزله وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكا، وأصحه معنى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير والمُلْبِس، أو الذي لا يناسب، قالوا: "وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها، كالتحميدات، وحروف النداء والهجاء وغير ذلك".

---

[1]- سورة الحجر، الآية: 9.

[2]- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 14-27.

وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس إلى ما يذكر، لأنها بين أدعية ووصايا، وفرائض، وتحميد وتهليل ومواعظ، ووعد ووعيد، إلى غير ذلك[1].

– **الوجه السادس:** مُشتبهات آياته:

وذلك أن القصة الواحدة ترد في سور شتى وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضوع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا، كقوله تعالى: "**ادخلوا الباب سُجدا وقولوا حطة**"[2]، وفي الأعراف: "**وقولوا حطة وادخلوا الباب سُجدا**"[3]، وفي مواضع بزيادة وفي موضع بدونها، نحو "**سواء عليهم أأنذرتهم**"[4]، وفي يس "**وسواء**"[5]، وفي موضع معرفا وفي آخر منكرا، أو مفردا وفي آخر جمعا. أو بحرف وفي آخر بحرف آخر. أو مدغما أو مفككا. وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات، وهذا الوجه بحر لا ساحل له، فلنرجع دائما إلى المقصود من كلامه سبحانه في كل الأحوال.

– **الوجه السابع:** ورود مشكلة حتى يوهم التعارض بين الآيات:

إن كلامه تعالى منزه عن ذلك، بل فيه إعجاز للكلام كما صنف في الحديث، وبيان ذلك الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وقد تكلم في ذلك ابن عباس، وحكي عنه التوقف في بعضها[6].

– **الوجه الثامن من وجوه الإعجاز:** وقوع ناسخه ومنسوخه:

وهو مما خصت به هذه الأمة لحكم، منها التيسير، وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بدءا كالذي يرى الرأي ثم يبدو له أنه باطل؛ لأن بيان مدة الحكم، كالإحياء بعد الإماتة وعكسه، والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه؛ وذلك لا يكون بدءا وإنما تيسير ورفعا للحرج إلا أن الأمر والنهي لا يقع النسخ إلا فيهما.

---

[1]– معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 57–75.

[2]– سورة البقرة، الآية: 57.

[3]– سورة الأعراف، الآية: 161.

[4]– سورة البقرة، الآية: 5.

[5]– سورة يس، الآية: 9.

[6]– معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 86–94.

- **الوجه التاسع:** انقسامه إلى محكم ومتشابه:

فالقرآن محكم لا يتطرق النقص إليه والاختلاف، ويشبه بعضه بعضا في الحق والقصد والإعجاز، وذكر السيوطي في هذا الوجه اختلاف العلماء في التعبير عن المحكم والمتشابه على أقوال كثيرة وألفوا فيه تواليف منيرة، وقصد إلى اختصار ما فيه:

فقيل: المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه؛ كقيام الساعة، والحروف المقطعة في أوائل السور[1] وغيرها.

- **الوجع العاشر:** اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها:

وقد ألف الناس في هذا الفن تواليف، وبالجملة فالقراءات السبع متواترة عند الجمهور وقيل بل مشهورة، وهذا الوجه خصه السيوطي للحديث عن أنواع القراءات.

- **الوجه الحادي عشر:** تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع:

إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع، وإما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، كما في قوله تعالى: "**يوم تبيض وجوه**"[2]، وإما لقصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب[3].

- **الوجه الثاني عشر:** إفادة حصره واختصاصه:

وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضا إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، وقد تحدث السيوطي في هذا الوجه عن أقسام القصر وطرقه.

- **الوجه الثالث عشر:** احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم.

قال: "وقد رأيت فيه تأليفا مفردا. وقد أفردت في هذا النوع كتابا سميته المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب" ثم عدد كل ما في القرآن من لغات غير لغات الحجاز[4]، ثم قال: "ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف: لأن كلام قريش سهل لين واضح،

---

(1)- معترك الأقران، مصر سابق، ج. 1، ص: 108-136.

(2)- سورة آل عمران، من الآية: 106.

(3)- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 161-171.

(4)- نفسه، ص: 181-199.

وكلام العرب وحشي غريب، فليس في القرآن إلا ثلاثة أحرف غريبة: "**فسينغضون إليك رؤوسهم**"[1]، وهو تحريك الرأس: "**مُقيتا**"[2]، مقتدرا "**فشرد بهم**"[3] أي :سمِّع.

– **الوجه الرابع عشر من وجوه إعجازه:** عموم بعض آياته وخصوص بعضها:

وهو (أي العام) لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر؛ وصيغته "كل" مبتدئة نحو: "**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**"[4]، أو تابعة نحو: "**فسجد الملائكة كلهم أجمعون**"[5]، وغير ذلك مما يتعلق بالعام الذي ذكره السيوطي في هذا الوجه.

– **الوجه الخامس عشر من وجوه إعجازه:** ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة:

وذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولوا الفصاحة، لكن هل يجوز بقاؤه مجملا أم لا؟ قال السيوطي: "وفي ذلك أقوال أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره". وبعد ذلك ذكر أسباب الإجمال وعدها في: الاشتراك والحذف، واختلاف مرجع الضمير، واحتمال العطف، والاستثناء، وغرابة اللفظ، وعدم كثرة الاستعمال والتقديم والتأخير، وقلب المنقول والتكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهرة ومثل لكل سبب بوفرة من الأمثلة والأدلة[6].

– **الوجه السادس عشر**: الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه:

وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق؛ فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص؛ نحو "**فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة**"[7]. وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بنذور النص جدا في الكتاب والسنة، وبالغ إمام الحرمين وغيره في الرد عليهم؛ قال: "لأن الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطع؛ مع انسجام جهات التأويل والاحتمال، وهذا وإن عزي حصوله بوضع الصيغ ردا إلى اللغة في أكثره مع القرائن الحالية والمقالية".

---

(1)– سورة الإسراء، من الآية: 51.

(2)– سورة النساء، من الآية: 84.

(3)– سورة الأنفال، الآية: 58.

(4)– سورة الرحمان، الآيتان: 24–25.

(5)– سورة الحجر، الآية: 30.

(6)– معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 206–217.

(7)– سورة البقرة، الآية: 195.

والمفهوم ما دل عليه اللفظ في محل النطق؛ وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة[1].

- **الوجه السابع عشر من وجوه إعجازه:** وجوه مخاطباته:

وهي ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبي ρ، وقسم لا يصلح إلا لغيره وقسم يصلح لهما.

قال بعض الأقدمين: أنزل القرآن على ثلاثين نحوا، كل نحو منه غير صاحبه فمن عرف وجوهها ثم تكلم في الدين أصاب ووفق، ومن لم يعرفها وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب، وهي: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والسبب والإضمار، والخاص والعام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام، والإبهام، والحروف المصرفة، والإعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم.

وقال بعض الأقدمين: الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها، قال البعض الآخر: على أكثر من ثلاثين وجها.

- **الوجه الثامن عشر:** ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات:

وما لم يكن وما لم يقع فوُجد كما ورد على الوجه الذي أخبر، كقوله تعالى: "**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**"[2]، وقوله: "**من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**"[3]، وغيرها من الآيات الدالة على المغيبات والأمور الغابرة، فكان جميع هذا كما قال وأخبر الحق سبحانه[4].

- **الوجه التاسع عشر:** إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة:

وهذا مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي ρ على وجهه، ويأتي به على نصه؛ فيعترف العالم بذلك بصحته

---

[1]- معترك الأقران، ج. 1، ص: 224-226.

[2]- سورة الفتح، الآية: 27.

[3]- سورة الروم، الآيتان: 1-2.

[4]- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 229-239.

وصدقه. وإن مثله لم ينله بتعليم، وقد علموا أنه ρ أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة ولا بمثاقفة، ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم، وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه ρ عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه، كقصص الأنبياء مع قومهم، وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل وغير ذلك.

- **الوجه العشرون من وجوه إعجازه:** روعته وهيبته:

الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإبانة خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفورا، كما قال تعالى؛ ويودّون انقطاعه لكراهتهم له؛ ولذا قال υ: إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم.

الوجه الحادي والعشرون: أن سامعه لا يمجه وقارئه لا يملُّه فتلذ له الأسماع وتشغف له القلوب:

وذلك حيث أن سامعه لا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضًّا طريًّا، وغيره من الكلام، وكتابنا بحمد الله يستلذ به في الخلوات، ويؤنس به في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، والذي لم ينته الجن حين سمعته أن قالوا: "**إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به**"(1). من قال به صدق، ومن تمسك به هدي ومن حكم به عدل(2).

- **الوجه الثاني والعشرون:** تيسيره تعالى حفظه وتقريبه على متحفظيه:

قال تعالى: "**ولقد يسرنا القرآن للذكر**"(3)، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم، والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة. والله يهب ذلك لمن يشاء.

- **الوجه الثالث والعشرون من وجوه إعجازه:** وقوع الحقائق والمجاز فيه:

وهذا سبقت الإشارة إليه في كتاب الإتقان.

---

(1)- سورة الجن، الآية: 1.

(2)- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 242-244.

(3)- سورة القمر، الآية: 22.

- **الوجه الرابع والعشرون:** تشبيهاته واستعاراته وهو من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها:

وقد سبقت الإشارة إليه كذلك[1].

- **الوجه الخامس والعشرون:** وقوع الكناية والتعريض:

وقد درسنا هذا النوع سابقا في الوجه المتعلق بأسلوب القرآن وبلاغته في كتاب الإتقان.

- **الوجه السادس والعشرون من وجوه إعجازه:** إيجازه في آية وإطنابه في أخرى:

وهما من أعظم أنواع البلاغة، وقد تحدث هنا عن تعريفهما وأقسامهما كما سبق أن بين ذلك في كتابه الإتقان في علوم القرآن.

- **الوجه السابع والعشرون:** وقوع البدائع البليغة فيه:

وقد أنهاها بعضهم إلى مائتي نوع وهو علم يُعرف به وجوه حسن الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة: وقد قدم الجلال السيوطي منها في نوع الفواصل والمناسبات والفواتح والخواتم وفي الوجه الذي ذكره في إتقانه كذلك، وهذا من أسرار الكلام الذي أعجز عقول ذوي الأفهام عن إدراك عجائبه التي لا تنقضي؛ لأنه أحسن نظام وأبلغ أسلوب[2].

- **الوجه الثامن والعشرون:** احتواؤه على الخبر والإنشاء:

وقد تحدث الإمام جلال الدين السيوطي عن هذا الوجه باعتباره من الصور البيانية في كتابه الإتقان في علوم القرآن وذكر كل ما يتعلق بهذا الباب الذي يعده في كتابه هذا وجها من وجوه الإعجاز وأفرد عنه كلاما مطولا كذلك إلا أنه لم يأت بأي جديد أو إضافة عن كتاب الإتقان.

- **الوجه التاسع والعشرون:** إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها:

فما معنى القسم منه تعالى؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

---

(1)- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 245-269.

(2)- نفسه، ص: 286-373.

والجواب بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرا حتى جعلوا مثل: "**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**"[(1)] قسما، وإن كان فيه إخبار بشهادة لأنه لما جاء توكيد للخبر سمي قسما.

والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه ما يفصل الحكم بنوعين جريا على عادات العرب وهما: الشهادة، والقسم. ولا يكون القسم إلا باسم معظم وقد سبق ذكر هذا سابقا[(2)].

- **الوجه الثلاثون من وجوه إعجازه:** اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة:

فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد يُبْنَى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به؛ لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

الأول: بسبب ما قاله: "**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه لِيُبَيِّن لهم**"[(3)].

الثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، وقد تطرق جلال الدين السيوطي في هذا الوجه إلى جدل القرآن فبينه وبين فائدته وأنواعه وخرج بخلاصات هامة تنظر في كتابه هذا.

- **الوجه الحادي والثلاثون من وجوه إعجازه:** ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة:

قال تعالى: "**ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**"[(4)]. وقال كذلك: "**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**"[(5)].

فمن أعظم علم القرآن علمُ أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام.

وقال بعض العلماء منهم الشافعي: "مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن معرفة ما ضُرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المبينة لاجتناب معصيته".

---

(1)- سورة المنافقون، الآية: 1.

(2)- معترك الأقران، ج. 1، ص: 420-449.

(3)- سورة إبراهيم، الآية: 5.

(4)- سورة الإسراء، الآية: 89.

(5)- سورة العنكبوت، الآية: 43.

وقال غيره: "ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس. ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالمشاهد، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله؛ قال تعالى: "**وضربنا لكم الأمثال**"[1]؛ فامتنَّ علينا بذلك؛ لما تضمنت من الفوائد. وأمثال القرآن قسمان: ظاهر ومصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه، أما الأول فقد سبق أن بيناه وأما الكامن فهو أن أمثال العرب والعجم جميعها لا تخرج من القرآن فكلها موجودة و إن كانت بصيغ غير مباشرة ومن أمثلة ذلك: "وجود في القرآن مثل: "خير الأمور أوسطها" في قوله تعالى: "**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**"[2]. وقوله تعالى: "**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**"[3]"[4].

- **الوجه الثاني والثلاثون من وجوه إعجازه:** ما فيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف فتارة يرجى وتارة يخوف.

عن الشعبي ، قال: لقى عُمر ابن الخطاب ركبا في سفر فيهم ابن مسعود، فأمر رجُلا يناديهم من أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق. فقال عمر: إن فيهم لعالما، فأمر رجلا أن يناديهم: أي القرآن أفضل؟ فأجاب عبد الله: "**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**"[5]. قال نادهم أي القرآن أحكم، فقال: ابن مسعود "**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**". قال ناديهم أي القرآن أجمع؟ قال: "**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**"[6]. قال فنادهم أي القرآن أحزن؟ فقال: "**من يعمل سوءا يُجزيه**"[7]، قال: فناديهم أي القرآن أرجى؟ فقال: "**قل يا**

---

(1)- سورة إبراهيم، الآية:47.

(2)- سورة البقرة، الآية: 67.

(3)- سور الإسراء، الآية: 109.

(4)- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 456-464.

(5)- سورة البقرة، الآية 253.

(6)- سورة الزلزلة، الآيتان: 8-9.

(7)- سورة النساء، الآية: 122.

عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله"[1]. فقال: "أفيكم ابن مسعود؟ فقالوا: نعم.

وقد ذكر السيوطي في هذا الباب أقوالا وأحاديث تصب في نفس مصب هذا الحديث.

- **الوجه الثالث والثلاثون:** ورود آيات مُبهمة يحير العقل فيها:

في هذا الوجه بين الإمام السيوطي أسباب الإبهام وسأجملها دون تفصيل في:

1- الاستغناء ببيانه في موضع آخر.

2- أن يتعين لاشتهاره.

3- قصد الستر عليه.

4- ألا يكون في تعينه كبير فائدة.

5- شبيه على العموم.

6- تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم.

7- تحقيره بالوصف الناقص.

وبعد ذلك ذكر ما أبهم في القرآن وبينها آية آية مع تعليقات منيرة على كل منها[2].

- **الوجه الرابع والثلاثون من وجوه إعجازه:** احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب وأسماء القبائل والبلدان والجبال والكواكب.

وقد عدد الجلال السيوطي في هذا الوجه كل ما ذكر في القرآن من أسماء وكنى وبلدان وجبال وبهائم وغيرها. فتأمل في ذلك تأملا واسعا وختمه بدعاء هذا نصه: "اللهم إنك أنعمت على هذا العبد بإلزام الحزن قلبه اخلع علينا بُرد حزن، حتى أقوم على سابق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك بجاه من أنزلت عليه هذا الكتاب الشافع النافع، العادل المصدق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم".

- **الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه:** ألفاظه المشتركة:

وقد احتفل السيوطي بهذا الوجه احتفالا كبيرا ويقول: "هذا الوجه من أعظم إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام

---

[1]- سورة الزمر، الآية: 50.

[2]- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 473-484.

البشر". حتى يقول: "وقد مَنَّ الله علينا في جلب بعض الألفاظ في هذا المعنى، وكان هو السبب في هذا المبنى، فاشدُدْ بكلتا يديك على هذا الكتاب".

وقد جمع في هذا الوجه أيضا ألفاظا من القرآن، ورتبها على حسب حروف الهجاء وفسرها، وأحاط بمعانيها، وأزال غموضها، ورجع في ذلك إلى كل كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها. وهو لم يقتصر فيه على تفسير يوضح معالمها ويزيل مشكلاتها[1].

خاتمة:

إن الباحث المتأمل في هذه الوجوه التي حصرها السيوطي أو تلك التي يحصرها في كتابه السابق، تجد أنه خلط ما تواضع عليه العلماء السابقون، وأدمج فيها بعض ما يتصل بالقرآن من علوم تتصل بالبلاغة والتاريخ وعلوم القرآن والتفسير لا لشيء إلا لتوسع الإطلاق لأنه يؤمن إيمانا راسخا بأن القرآن لا نهاية لوجوه إعجازه، حيث يقول: "قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم، فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا في القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات"[2][3] . هذا ما يتعلق بإعجاز القرآن عند العلامة جلال الدين السيوطي باختصار شديد.

---

[1]- معترك الأقران، مصدر سابق، ج. 1، ص: 512-516.

[2]- مفهوم الإعجاز القرآني: مرجع سابق، ص: 330.

[3]- راجع كتاب الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص: 129.

خاتمة عامة:

صفوة القول منذ فجر المبعث فرض القرآن إعجازه على كل من سمعه، وظل مطروحا على الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل، ثم يظل أبدا رحب المدى سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ الغاية امتد الأفق بعيدا وراء كل مطمع، عاليا يفوق طاقة الدارسين، وفي هذا الإطار نجد أن كل ما ذكرته البحوث والرسائل لا يتعدى كونه صورة موجزة لما يحتويه القرآن من روعة وجمال وإعجاز.

فالقرآن الكريم كما سبق أن بيناه، ليس فيه شيء من افتراء المختلق أو تخرصات الكذب، ولا فيه شيء من أخلية الشاعر أو سبحات الأديب، ولا يشبه شيء من كلام الفصحاء أسلوبه الفذ العجيب، إنه وحي يوحى، وتنزيل، وهدي رباني يلقى على النبي ρ ذكرا، ويأمره أمرا، فالقرآن الكريم نزل منجما يتدرج خلال ثلاثة وعشرين عاما مع الأحداث والوقائع الفردية والاجتماعية، وكان في تدرجه هدى وبشرى وموعظة للمؤمنين عن طريق سنة نبيه الأمين التي جاءت مبينة ومفصلة، لكل ما جاء في القرآن الكريم آخذة بذلك المكانة الثانية في التشريع الإسلامي ومؤكدة أن القرآن الكريم معجزة ربانية خالدة أبد الدهر، وحجة على صدق النبي ρ الذي تحدى به فصاحة العرب وبلاغتهم وبيانهم، ومنذ ذلك الوقت أقبل العلماء على دراسة هذا الكتاب المجيد مشغوفين بكل ما يحتويه من علوم، ومن هؤلاء العلماء، الإمام عبد الرحمان السيوطي رحمه الله، الذي اشتغل على كل العلوم، وخاصة العلوم المتعلقة بالقرآن وما يتعلق به من إعجاز فأفاض في هذا المجال وأفاد تغمده الله برحمته ونفعنا الله بعلمه.

ولكن هذا الموضوع مهما قيل في شأنه فإنه مع ذلك يبقى مجالا مفتوحا يحتاج إلى دراسات متخصصة ومتعمقة ذلك ما نطمح إليه إن شاء الله تعالى مستقبلا، فاللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، وأن تجعل بحثي المتواضع خالصا لوجهك الكريم ولجلال سلطانك العظيم، وأن يكون بحثا مقبولا، وأن تجعل القرآن الكريم نور قلوبنا وضياء بصائرنا ودستور أعمالنا، وأن تكشف لنا اللهم علم ما لا نعلم وأن توفقنا لخدمة تراث الأمة الإسلامية التي تستحق أن تأخذ مكانها اللائق بين الأمم وتصبح عنوانا مشرفا لدين الإسلام العظيم والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعاملين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هداهم إلى يوم الدين. آمين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات الواردة في البحث

مطلع نص الآية	إسم السورة	رقم ترتيبها في المصحف	نوعها	رقم الآية	الصفحة
"سواء عليهم..."	سورة البقرة	2	مدنية	5	96
"فما ربحت تجارتهم"	سورة البقرة	2	مدنية	15	91
"فأتوا بسورة من مثله..."	سورة البقرة	2	مدنية	22	29
"هو الذي خلق..."	سورة البقرة	2	مدنية	28–29	32
"ادخلوا الباب..."	سورة البقرة	2	مدنية	57	96
"لا فارض..."	سورة البقرة	2	مدنية	67	103
"شهر رمضان الذي..."	سورة البقرة	2	مدنية	84	24
"فصيام ثلاثة أيام و..."	سورة البقرة	2	مدنية	195	98
"وقضي الأمر"	سورة البقرة	2	مدنية	208	92
"ولكن لا تواعدهن سرا..."	سورة البقرة	2	مدنية	233	91
"الله لا إله إلا هو..."	سورة البقرة	2	مدنية	253	103
"اتقوا يوما..."	سورة البقرة	2	مدنية	280	26
"إني أخلق من الطين..."	آل عمران	3	مدنية	48	13
"ومكروا ومكر الله..."	آل عمران	3	مدنية	53	91
"يوم تبيض وجوه..."	آل عمران	3	مدنية	106	97
"لقد منَّ الله..."	آل عمران	3	مدنية	164	38
"كل نفس ذائقة..."	آل عمران	3	مدنية	185	34
"هو الذي خلقكم..."	سورة النساء	4	مدنية	1	92
"فلا وربك..."	سورة النساء	4	مدنية	64	38
"مُقيتا..."	سورة النساء	4	مدنية	84	98
"من يعمل..."	سورة النساء	4	مدنية	122	103

"لئلا يكون للناس على الله حجة"	سورة النساء	4	مدنية	164	1
"يستفتونك قل الله..."	سورة النساء	4	مدنية	176	26
أعجزت أن ..."	سورة المائدة	5	مدنية	33	10
"يا أيها الرسول..."	سورة المائدة	5	مدنية	69	35
"ما فرطنا في الكتاب..."	سورة الأنعام	6	مكية	39	18
"قل يا أيها الناس ..."	سورة الأعراف	7	مكية	158	35
"وقولوا حطة..."	سورة الأعراف	7	مكية	161	96
"وإذا أخذ ربك..."	سورة الأعراف	7	مكية	172	21
وإذا قرأ القرآن..."	سورة الأعراف	7	مكية	204	20
"قد سمعنا..."	سورة الأنفال	8	مدنية	31	11
"فشرد بهم..."	سورة الأنفال	8	مدنية	58	98
"فإن تولوا..."	سورة التوبة	9	مدنية	129	26
"إنما الحياة..."	سورة يونس	10	مكية	24	88
"هو الذي..."	سورة هود	11	مكية	7	31
"إنا أنزلناه..."	سورة يوسف	12	مكية	2	44
"وما أرسلنا..."	سورة إبراهيم	14	مكية	5	15
"وضربنا..."	سورة إبراهيم	14	مكية	47	103
"وإنا نحن نزلنا..."	سورة الحِجر	15	مكية	9	95
"إذ قال ربك..."	سورة الحِجر	15	مكية	28–29	33
"فسجد الملائكة..."	سورة الحِجر	15	مكية	30	98
"خلق الإنسان..."	سورة النحل	16	مكية	4	33
"وأنزلنا إليك..."	سورة النحل	16	مكية	44	38
"وما أنزلنا عليك..."	سورة النحل	16	مكية	64	38
"ونزلنا عليك الكتاب..."	سورة النحل	16	مكية	89	18

"سبحان الذي..."	سورة الإسراء	17	مكية	1	41
"إن هذا القرآن..."	سورة الإسراء	17	مكية	9	21
"فسينغضون..."	سورة الإسراء	17	مكية	51	98
"ننزل من القرآن..."	سورة الإسراء	17	مكية	82	22
"قل لئن اجتمعت الإنس..."	سورة الإسراء	17	مكية	88	11
"ولقد صرفنا..."	سورة الإسراء	17	مكية	89	102
"ولا تجهر..."	سورة الإسراء	17	مكية	109	103
"قل لو كان البحر..."	سورة الكهف	18	مكية	104	30
"بل أضغاث أحلام..."	سورة الأنبياء	21	مكية	5	11
"بل نقذف بالحق..."	سورة الأنبياء	21	مكية	18	89
"ثم خلقنا..."	سورة المؤمنون	23	مكية	12-14	34
"ثم جعلناه..."	سورة المؤمنون	23	مكية	13	33
"وعد الله الذين..."	سورة النور	24	مدنية	53	29
"تبارك الذي نزل..."	سورة الفرقان	25	مكية	1	25
"وقالوا أساطير الأولين..."	سورة الفرقان	25	مكية	5	11
"وأنذر عشيرتك..."	سورة الشعراء	26	مكية	213-214	35
"وتلك الأمثال..."	سورة العنكبوت	29	مكية	43	102
"ألم. غلبت الروم..."	سورة الروم	30	مكية	1-2	99
"وهم من بعد..."	سورة الروم	30	مكية	2	29
"تلك من أنباء الغيب..."	سورة الروم	30	مكية	49	29
"ثم جعل..."	سورة السجدة	32	مكية	7	33
"وداعيا..."	سورة الأحزاب	33	مدنية	46	35
"إنا عرضنا الأمانة..."	سورة الأحزاب	33	مدنية	72	18
" والذين سعوا..."	سورة سبأ	34	مكية	5	8

"وقال الذين كفروا..."	سورة سبأ	34	مكية	43	11
"وسواء..."	سورة يس	36	مكية	9	96
"إن هذا أخي..."	سورة ص	38	مكية	22	92
" تنزيل الكتاب...."	سورة الزمر	39	مكية	1	24
" قل يا عبادي..."	سورة الزمر	39	مكية	50	104
" الله الذي..."	سورة غافر	40	مكية	64	32
"حم تنزيل من..."	سورة فصلت	41	مكية	1	24
"سنريهم آياتنا في الآفاق..."	سورة فصلت	41	مكية	52	30
"وإنه لذكر لك..."	سورة الزخرف	43	مكية	43	16
"لقد صدق الله..."	سورة الفتح	48	مدنية	27	29
"لتدخلن المجسد..."	سورة الفتح	48	مدنية	27	99
"والأرض مددناها..."	سورة ق	50	مكية	7	32
"وما ينطلق عن الهوى..."	سورة النجم	53	مكية	4-3	1
"اقتربت الساعة..."	سورة القمر	54	مكية	3-1	41
"لقد يسرنا..."	سورة القمر	54	مكية	22	100
"كل من عليها فان..."	سورة الرحمان	55	مدنية	25-24	98
"وما آتاكم الرسول..."	سورة الحشر	59	مدنية	7	39
"كمثل الحمار يحمل..."	سورة الجمعة	62	مدنية	5	88
"والله يشهد..."	سورة المنافقون	63	مدنية	1	102
"إذا ألقوا فيها..."	سورة الملك	67	مكية	8-7	90
"إنا سمعنا..."	سورة الجن	72	مكية	1	100
"يا أيها المدثر..."	سورة المدثر	74	مكية	1	26
"إنا علينا..."	سورة القيامة	75	مكية	16	19
"فإذا قرأناه..."	سورة القيامة	75	مكية	17	19

33	36	مكية	75	سورة القيامة	"ألم يك نطفة..."
31	1	مدنية	76	سورة الإنسان	"هل أتى على..."
33	2	مدنية	76	سورة الإنسان	"إنا خلقنا..."
32	27	مكية	77	سورة المرسلات	"وجعلنا فيها..."
31	33-27	مكية	79	سورة النازعات	"أأنتم أشد خلقا..."
89	18	مكية	81	سورة التكوير	"والصبح إذا تنفس..."
32	4	مكية	95	سورة التين	"لقد خلقنا..."
34	2-1	مكية	96	سورة العلق	"إقرأ باسم ربك..."
24	1	مكية	97	سورة القدر	"إنا أنزلناه في ليلة القدر"
91	2	مدنية	99	سورة الزلزلة	"وأخرجت الأرض..."
103	9-8	مدنية	99	سورة الزلزلة	"فمن يعمل..."
91	8	مكية	101	سورة القارعة	"فأمه هاوية..."
26	1	مدنية	110	سورة النصر	"إذا جاء نصر الله ..."

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

مطلع الحديث	تخريجه	الصفحة
"آخر آية نزلت من..."	رواه مسلم في صحيحه بلفظه، كتاب الفرائض باب: آخر آية نزلت، ج. 5 ص: 61.	26
"إن القرآن كلام الله..."	أخرجه الخطيب في التاريخ، ج. 1، ص: 360، قال هذا حديث منكر جدا وفيه مجاهيل وأسنده الذهبي في الميزان، ج. 3، ص: 16، من طريق الغيلانيات ثم قال هو موضوع على مجالد، ونقله القرطبي في كتابه التذكار في أفضل الأذكار، ص: 17، ومنه أخذناه.	23
"إنما الأعمال بالنيات..."	رواه البخاري في صحيحه بلفظه، كتاب العلم، باب بد الوحي، حديث رقم 1، ج. 1، ص: 2.	36
"إن هذا القرآن أنزل..."	رواه الدارمي في سننه باختلاف في اللفظ كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، حديث رقم 3334، ج. 2، ص: 312-313.	22
"إن هذا القرآن حبل..."	رواه الدارمي في سننه بلفظه كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، رقم الحديث 3318، ج. 2، ص: 310.	18
"أول ما نزل من القرآن إقرأ..."	رواه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الإيمان باب بدء الوحي، حديث رقم 52، ج. 1، ص: 139-140.	25
"أول ما نزل من القرآن سورة المدثر..."	رواه مسلم في صحيحه باختلاف في اللفظ كتاب الإيمان باب بدء الوحي، حديث رقم 57، ج. 1، ص: 144 وقال عنه أنه ضعيف بل باطل.	25

"بينما أنا أمشي..."	رواه البخاري بلفظه في صحيحه، كتاب العلم، باب بدء الوحي، ج. 1، ص: 3. وكذلك رواه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الإيمان باب بدء الوحي، حديث رقم 255 ج. 1، ص: 143.	26
"عليكم بسنتي.."	رواه الدارمي في سننه بلفظه باب اتباع السنة مقدمة ج. 1، ص: 45.	37
"كل شيء بقدر..."	رواه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب القدر باب كل شيء بقدر، حديث رقم 2655، ج. 2، ص: 2045.	8
"لا يجوز وصية..."	رواه الدارمي في سننه، بلفظه كتاب الوصايا، باب الوصية للوارث، رقم الحديث 3263، ج. 2، ص: 301-302.	36
"لعن الله الواشمات..."	رواه مسلم في صحيحه بلفظه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواحد والمستوحدة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، حديث رقم 2125، ج. 3، ص: 1678.	39
"ما من الأنبياء نبي..."	رواه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب فضائل القرآن، باب بدء الوحي، ج. 6، ص: 182.	15
"من سن سنة حسنة...."	رواه مسلم في صحيحه باختلاف في اللفظ، كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث رقم 1017، ج. 4، ص: 2059.	36

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

I- المصادر:

1- القرآن الكريم: رواية الإمام ورش، طبع بدار المعرفة، الدار البيضاء.

2- آخرة المماليك: "لأحمد الرمال"، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة المعادي، القاهرة، طبعة: 1382هـ/1962م.

3- الإتقان في علوم القرآن، "لعبد الرحمان السيوطي، مطبعة الكستيلية، القاهرة، 1279م، الجزء الأول والثاني.

4- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول: "لمحمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن المغني بن علي الإسحاق المنوفي"، مطبعة الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1311هـ.

5- أصول الدين: "لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي"، طبع بدار الفنون، إستنبول، الطبعة الأولى: 1346هـ/1928م.

6- أصول الفقه، "لمحمد الخضري"، طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.

7- أصول الفقه الإسلامي، "لوهبة الزحيلي"، طبع دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م، الجزء الأول.

8- إعجاز القرآن، "لأبي بكر محمد بن الطيب البقلاني"، تحقيق أحمد ضفر، طبع بدار المعارف بمصر، 1963م.

9- البرهان في علوم القرآن، "لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي"، مطبعة دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م، الجزء الأول والثاني.

10- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، "لعبد الرحمان السيوطي"، تحقيق: "محمد أبو الفضل إبراهيم"، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ/1979م، الجزء الأول.

11- بيان إعجاز القرآن، "لأبي سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي"، تحقيق: "محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام"، طبع دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

12- تاج العروس من جواهر القاموس، "لمحيي الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي"، تحقيق: "الترزي وحجازي والطحاوي الغرباوي"، وراجعه: "عبد الستار أحمد فراج"، مطبعة حكومة الكويت، 1395هـ/1974م، الجزء الخامس عشر.

13- التذكار في أفضل الأذكار، "لعبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي"، خرج أحاديثه وعلق حواشيه "أحمد بن محمد بن الصديق الغماري"، بدون مكان الطبعة الأولى، 1355هـ.

14- تلخيص البيان في مجازات القرآن، "لشريف الرضي"، مطبعة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م.

15- الجامع لأحكام القرآن، "لعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي"، صححه "أحمد عبد العليم البردوني"، بدون مكان الطبع، الطبعة الأولى، 1373هـ/1954م، الجزء الثاني.

16- حسن المقصد في عمل المولد، "لعبد الرحمان السيوطي"، تحقيق: "مصطفى عبد القادر عطا"، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م.

17- رسائل عمرو الجاحظ، طبعت على هامش كتاب الكامل "لمحمد المبرد"، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، سنة 1323هـ، الجزء الثاني.

18- سنن الدارمي، :لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان الدارمي"، دار المحاسن للطباعة، القاهرة، 1386هـ/1966م، جزءان.

19- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، "لعبد الحي بن العماد الحنبلي"، مطبعة دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ/1979م، الجزء الثامن.

20- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ρ، "لعياض بن موسى اليحصبيي"، طبع بحاشيته: "كتاب مزايا الخفاء عن ألفاظ الشفا"، "لأحمد بن محمد الشمني"، طبع بدار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، الجزء الأول.

21- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، "لإسماعيل بن حماد الجوهري"، تحقيق: "أحمد عبد الغفور عطار"، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثاني.

22- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة بالأوفسيط عن دار الطباعة العامرة، بإستنبول، دار الفكر بيروت.

23- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: "محمد فؤاد عبد الباقي:، طبع دار الفكر، جزيرة الروضة، 1374هـ/1954م. أربع مجلدات.
24- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، "لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي"، مطبعة مكتبة القدس، القاهرة، 1354هـ، الجزء الرابع.
25- فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، "لمحمد الحسني الإدريسي الكتاني الفاسي"، المطبعة الجديدة بفاس، 1348هـ، الجزء الثاني.
26- القاموس المحيط، "لمحمد مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، طبع مؤسسة الرسالة بإشراف: "محمد نعيم العرقسوسي"، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة،1413مهـ/1993م.
27- لسان العرب المحيط، "لمحمد بن منظور"، معجم لغوي علمي، تقديم: "عبد الله العلايلي"، إعداد وتحقيق: "يوسف خياط ونديم وعشلي"، دار لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ، المجلد الثاني، من الزاء إلى الفاء.
28- معترك الأقران في إعجاز القرآن، "لعبد الرحمان السيوطي"، تحقيق: "علي محمد البجاوي"، طبع دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ، الجزء الأول.
29- مفتاح العلوم، "لمحمد بن علي السكاكي"، بدون تاريخ ولا مكان الطبع.
30- مناهل العرفان في علوم القرآن، "لمحمد عبد العظيم الزرقاني"، طبع دار الفكر، بيروت، طبعة بدون تاريخ، الجزء الثاني.
31- هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، "لإسماعيل باشا البغدادي"، مطبعة البهية، إسطنبول، 1951م، الجزء الأول.

II- المراجع:

1- أطلس التاريخ الإسلامي، صنفه: "هاري وهازارد"، رسم خرائطه وكون ترجمه وحققه: "إبراهيم زكي خورشيد"، راجعه: "محمد مصطفى زيادة"، بتقديم: "محمد عوض محمد"، الطبع والنشر طبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة منقحة، 1954م، الجزء الثامن عشر.
2- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، "لعائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ"، طبع دار المعارف، القاهرة، 1919م.

3- الإعجاز العلمي، "لزغلول النجار"، طبع مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1423هـ/2002م، جزءان.

4- الإعجاز الفني للقرآن، "لعمر السلامي"، طبع ونشر مؤسسات: "عبد الكريم بن عبد الله"، تونس، 1400هـ/1980م.

5- إعجاز القرآن في خلق الإنسان، "لمحمد كمال عبد العزيز"، بدون طبعة وتاريخ.

6- الإمام جلال الدين السيوطي، الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته، بحوث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الأزهر، القاهرة، طبع مطبعة إليت، الرباط، 1416هـ/1995م، الجزء الأول.

7- الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، "لزامباور"، أخرجه: "زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود: طبع مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1370هـ/1951م، الجزء الأول.

8- تاريخ العرب في القرون الوسطى، "لناجي معروف وصالح أحمد العلي وعبد الله الفياض"، مطبعة أسعد، بغداد، الطبعة الثانية، 1382هـ/1962م.

9- تاريخ مصر، "لهند اسكندر عمُّون"، طبع مطبعة المعارف، القاهرة، سنة 1913م.

10- تاريخ مصر الحديث، "لجرجي زيدان"، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1306هـ/1889م، الجزء الثاني.

11- التبيان في علوم القرآن، "لمحمد علي الصابوني"، طبع بمؤسسة مناهل العرفان، بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ/1812م.

12- البستان معجم لغوي، "لعبد الله البستاني"، مطبعة الأمير كانية، بيروت، بدون تاريخ، الجزء الأول.

13- التشريع الإسلامي أصوله مقاصده، "لعمر الجيدي"، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1408هـ/1981م.

14- توحيد الخالق، "لعبد المجيد الزنداني"، طبع المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ثلاثة أجزاء.

15- دراسات في تاريخ المماليك البحرية، "لعلي إبراهيم حسن"، مطبعة الشبكشي، القاهرة، الطبعة الثانية 1948م.

16- دراسات في علوم القرآن الكريم، "لفهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي"، طبع بمؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1414ﻫ/1994م.

17- زبدة الإتقان في علوم القرآن، "لمحمد بن علوي المكي الحسيني"، طبع دار الشروق، جدة، الطبعة الثالثة،1406 ﻫ/1986م.

18- السنة قبل التدوين، "لمحمد عجاج الخطيب"، طبع مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1383ﻫ/1963م.

19- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، "لمصطفى السباعي، طبع مكتبة دار العروبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1380ﻫ/1961م.

20- عصر السلاطين المماليك، "لمحمود رزق سليم"، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، طبع مطبعة التوكل، مصر، 1366ﻫ/1986م. جزءان.

21- عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، "لجميل بك العظم"، طبع بمطبعة الأهلية، بيروت، 1326ﻫ/1947، جزءان.

22- الفلسفة القرآنية، "لعباس محمود العقاد"، مطابع دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ.

23- الكون والإعجاز العلمي، "لمنصور محمد حسب النبي"، طبع بدار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1991م.

24- مباحث في علوم القرآن، "لمناع القطان"، طبع بمكتبة المعارف، الرياض، ط. الأولى، 1413ﻫ/1992م.

25- مباحث في علوم القرآن، "لصبحي الصالح"، طبع بدار الملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، 1403ﻫ/1983م.

26- معجم المؤلفين، "لعمر رضا كحال"، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة بدون تاريخ، الجزء الخامس.

27- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: "إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار"، أشرف على طبعه: "عبد السلام هارون"، طبع مطبعة مصر، القاهرة، 1381هـ/1961م، الجزء الثاني.

28- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، "لأحمد جمال العمري"،طبع بدار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

29- مكتبة الجلال السيوطي، "لأحمد الشرقاوي إقبال"، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، سلسلة الفهارس (٢)، الرباط، 1397هـ/1977م.

30- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، "لزغلول النجار"، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1423هـ/2002م، الجزء الأول.

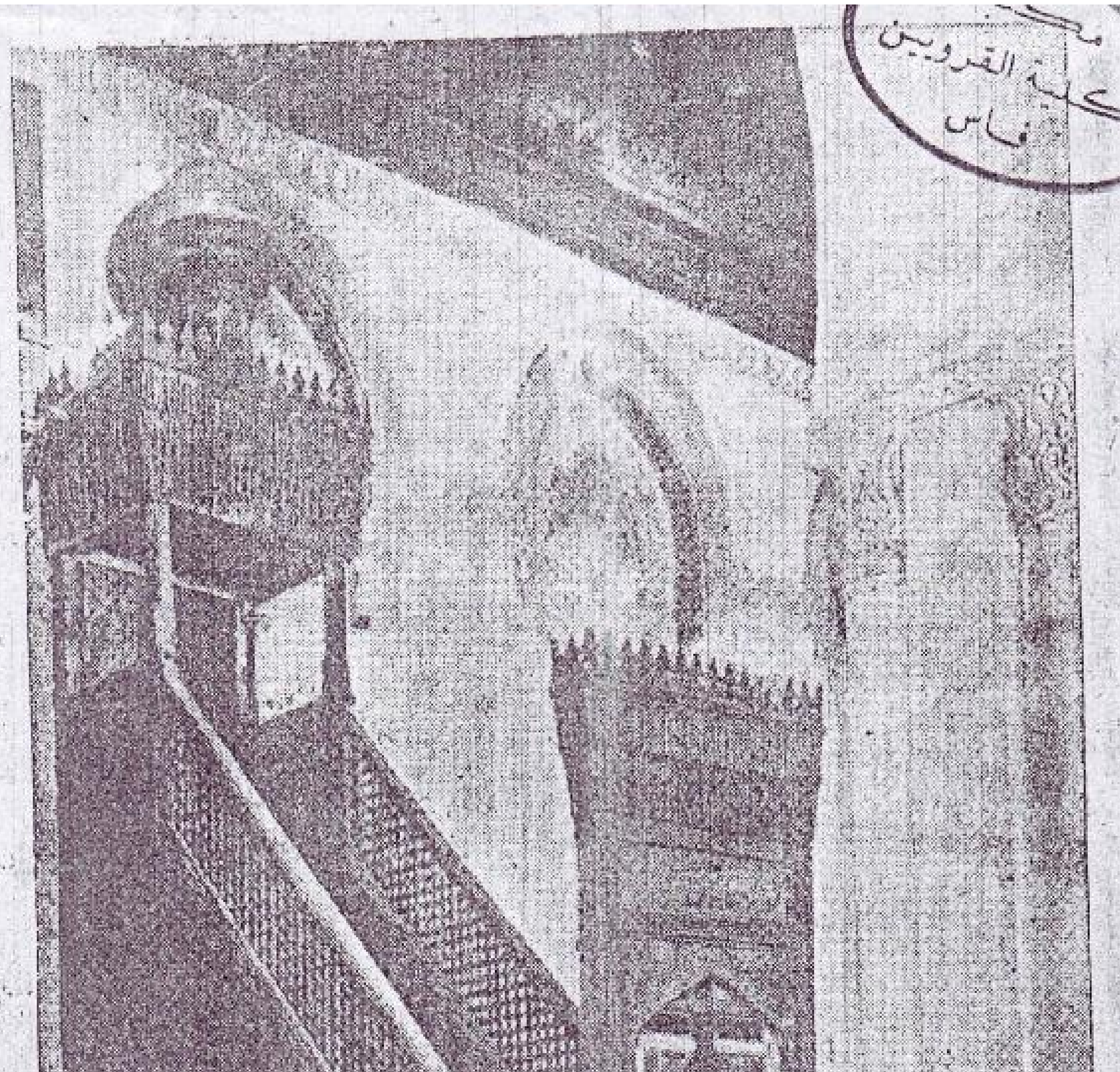
31- الوجيز في أصول الفقه، "لأحمد شوقي"، طبع طوب بريس، الرباط ، 1418هـ/1998م.

32- المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، "لمحمد مصطفى زيادة"، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949م.

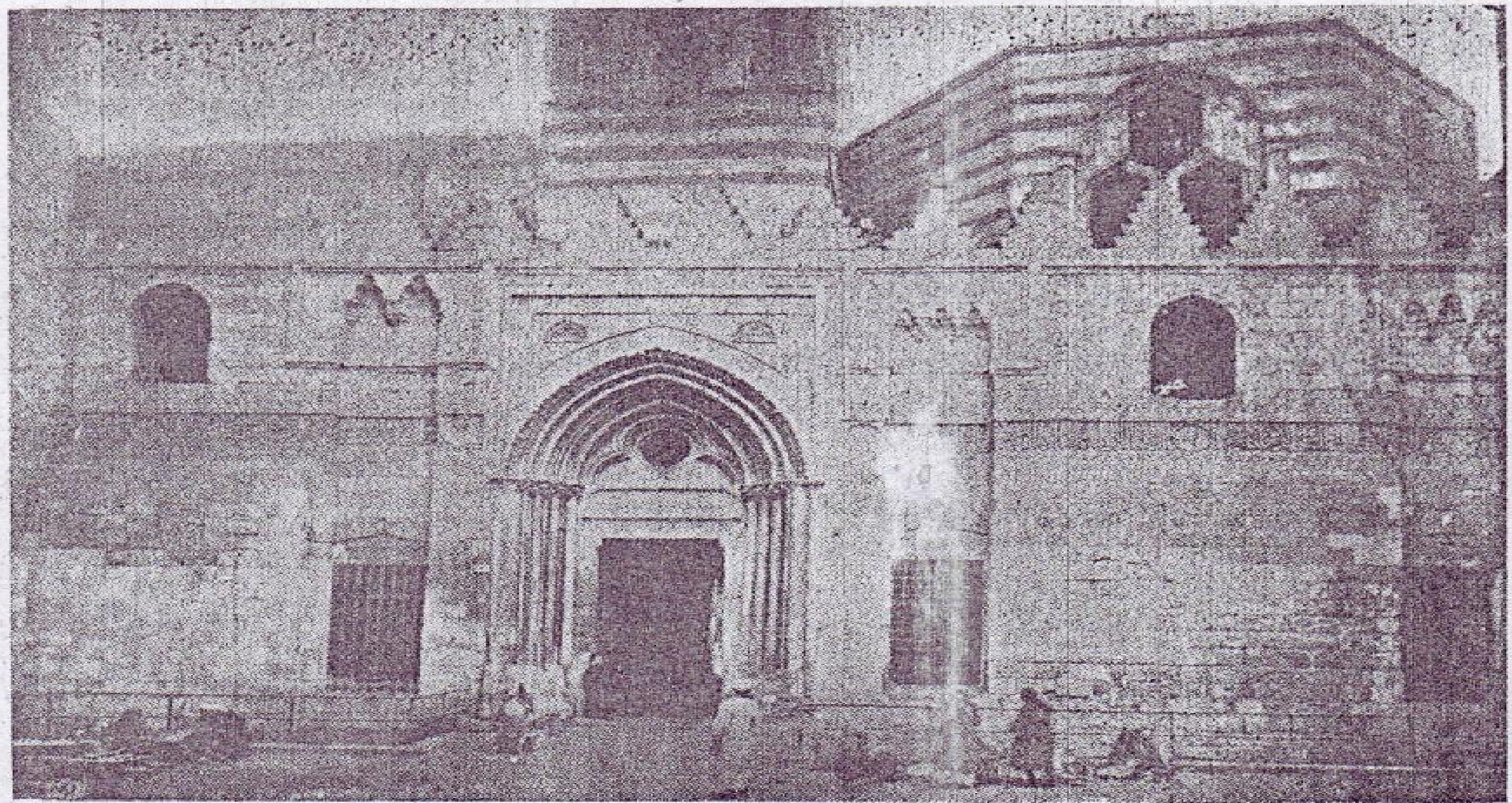
فهرس ملحق البحث.



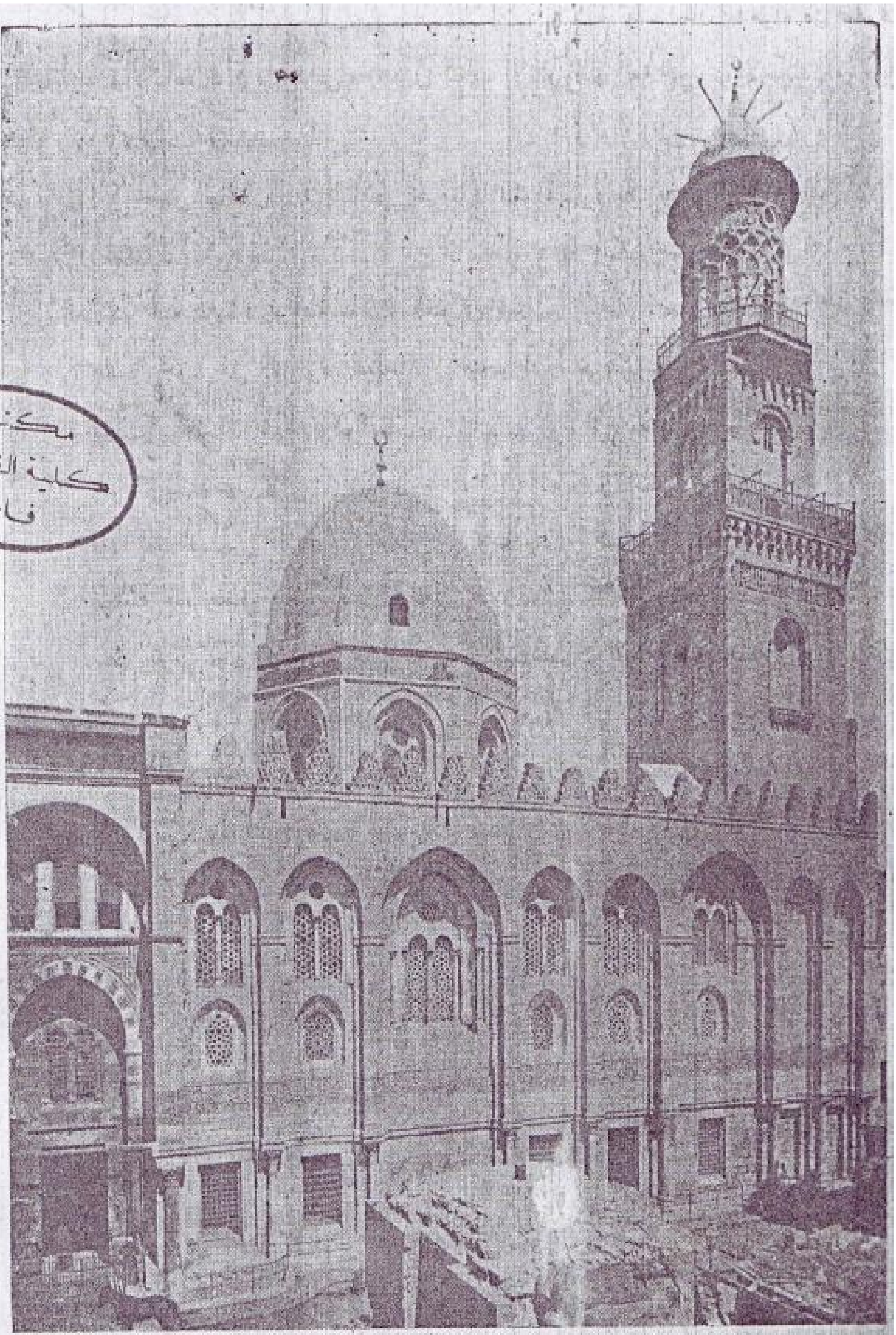
المماليك البرجية في القاهرة



منبر جامع ابن طولون من عهد السلطان لاجين



واجهة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين



مدرسة وقبة وبيمارستان السلطان المنصور قلاوون

مؤسس بيت قلاوون

الفهرس العام لموضوعات البحث

الموضوع الصفحة

لله وكان الله عليما حكيما

ومن يقتل مومنا متعمدا فجز

اؤه جهنم خلدا فيها وغضب

الله عليه ولعنه واعد له

عذابا عظيما يايها الذين

امنوا اذا ضربتم في

سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا